الفصل الثاني
الحرب النفسية على النبي ﷺ
-جبهاتها وأنواعها-

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بجبهات العداء للرسول ﷺ في الحرب النفسية

المبحث الثاني: أنواع الحرب النفسية

oberkandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول
التعريف بجبهات العداء للرسول ﷺ في الحرب النفسية

المطلب الأول: الكفار والمشركون.
المطلب الثاني: اليهود.
المطلب الثالث: النصارى.
المطلب الرابع: المنافقون.

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً: الكفار والمشركون: الجبهة الأولى من جبهات العداء للرسول ﷺ:

والكفر معناه: الستر والتغطية والمواراة.

والكافر: الليل المظلم لأنه يستر بظلمته كل شيء وكفر النعمة جحدها[١].

وقيل سمي الكافر كافرًا لأنه ستر نعمة الله عز وجل، ونعمه: آياته الدالة على توحيده[٢].

قال بعض العلماء الكفر على أربعة أنحاء:

١- **كفر إنكار**: وهو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به ويكفر بقلبه ولسانه.

٢- **كفر جحود**: وهو أن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وكفر أهل الكتاب.

٣- **كفر عناد**: وهو أن يعترف بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به حسدًا وبغيًا ككفر أبي جهل وإضرابه.

٤- **كفر نفاق**: وهو أن يقر بلسانه ويكفر بقلبه فلا يعتقد بما يقول وهو فعل المنافقين[٣].

يقال للرجل كافر لأنه ستر فكرته وغطاها بغطاء من الجهل والسفاهة وتوارت عن بصيرته فطرة الدين وفطرة نفسه وهو مخلوق على الفطرة الإسلامية فهو لا يستخدم قواه الفكرية والعلمية إلا فيما يخالف فطرته، فالكافر مرتكس في الضلال والغي.

فالكفر جهل حيث لا جهل أكبر من جهل من لا يعرف ربه والكفر ظلم ومعنى الظلم: أن تضع الشيء في غير محله اللائق به وتستعمله بما لا تلتئم به فطرته، والكفر بغي وعدوان وجحود وكنود[٤].

---

(١) مختار الصحاح للرازي (ص٢٣٩)، ط/ مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) لسان العرب مادة كفر (٥/ ٣٨٩٩)، ط/ دار المعارف.

(٣) لسان العرب مادة كفر، وانظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام للصابوني (٢/ ٢٣٦)، ط/ دار القلم، دمشق.

(٤) مبادئ الإسلام، أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت (ص٨) باختصار وتصرف.

والشرك: هو جعل شريك لله في ربوبيته وإلهيته والغالب الإشراك يكون في ألوهيته وهو أن يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة، والشرك أعظم الذنوب(١).

الطبيعة النفسية للمشركين تجاه المؤمنين:

لقد حملت جبهات العداء المختلفة مشاعر الحقد والحسد والكراهية للمؤمنين، وهذا ما دفعهم لحربهم ضدهم إذ لا يعقل أن يحارب الحبيب من يحب.

ولقد جسدت بعض آيات القرآن طبيعة المشاعر التي تنطوي عليها قلوب المشركين وغيرهم من أعداء الإسلام للإسلام والمسلمين.

ومن هذه الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقد فُسِّر الخير بالوحي:

والمعنى أنهم يحسدونكم عليه وما يحبون أن ينزل عليكم شيئًا منه.

وفُسر الخير بالعلم والنصرة ولعل المراد به يعم ذلك.

﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ بعدما ذكر الله طبيعة مشاعر أعداء الإسلام أراد أن يطمئن المسلمين فلا يبتئسوا بهذه المشاعر فالله سبحانه يستنبئ من يشاء ويعلم وينصر من يشاء، وكل ما يفعله جار بمشيئته وفضله وحكمته(٢).

٢- ومن الآيات التي تجسد طبيعة مشاعر أعداء الإسلام للإسلام ولأهله وخاصة المشركين واليهود قول الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ

(١) كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان (ص٩)، مكتبة الأثير، الرياض.

(٢) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٨٠) باختصار وتصرف.

وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

فلقد جعل الله سبحانه وتعالى في الآية اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ فلم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم للمسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه[(٢)].

والآية الكريمة فيها دلالة واضحة على ما تضمره قلوب أعداء الإسلام للمسلمين من عداوة بل من شدة العداوة وخاصة اليهود والمشركين، وهذا ما يؤكد ضراوة الحرب التي يخوضونها كل حين ضد الإسلام وآله.

ومن الآيات تؤكد الطبيعة النفسية الخبيثة للمشركين تجاه الإسلام ورسوله وأتباعه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ [القلم: ٥١].

يقول العلامة النسفي[(٣)] في تفسيره لهذه الآية: أي قارب الكفار من شدة نظرهم

---

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٦٣٧) بتصرف يسير.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٥٦).

(٣) العلامة النسفي هو: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود الملقب حافظ الدين المكي النسفي، نشأ في بيئة علمية خصبة، أخذ العلم عن الإمام محمد بن عبد الستار الكردي وعن علي بن محمد بن علي البخاري، له تلاميذ كثيرين منهم الإمام الحسين بن علي بن حجاج الملقب بحامي الدين، وفاته قيل توفي سنة ٧٠١، وقيل: ٧١٠، وقيل ٧٥١هـ. انظر: هداية العارفين (١/ ٤٦٤)، وانظر: التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي (١/ ٢٨٩) طبعة مكتبة وهبة القاهرة.

إليك شذرا بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم عن مكانك لشدة حنقهم عليك، وكان العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول لم أر كاليوم مثله إلا هلك فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله ﷺ مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلاً فعصمه الله من ذلك.

﴿ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن، ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ حسدًا على ما أوتيت من النبوة، ﴿ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ إن محمدًا لمجنون حيرة في أمره وتنفيرًا منه[1].

وهكذا ففي الآية الكريمة دلالة واضحة على ما أضمرته نفسية القوم من كره وحمق وحسد للرسول ﷺ وهذا ما دفعهم إلى الافتراء والادعاء الكاذب عليه حتى تجرأوا أن يقولوا عليه مجنون وحاشاه.

وإذا كانت هذه مشاعرهم تجاه الرسول فما بالك بمشاعرهم تجاه أتباعه! وهل يتصور من مشاعر تلك حرارتها أن تكون الحرب الناتجة عنها حربًا هينة؟ بالطبع لا، إنها حرب ضروس دفعتها نفسيات خبيثة وقلوب مريضة، نتج عنها ما عبر عنه القرآن بالمكر ووصف مداه فقال تعالى: ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

والمعنى: أنهم قد مكروا في رد الحق وإثبات الباطل مكرهم العظيم الذي استغرقوا فيه وسعهم ﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ أي وعند الله جزاء مكرهم فهو مجازيهم به.

والمخاطبون: هم قوم محمد ﷺ حين هموا بقتله أو نفيه ثم وصف مكرهم بقوله ﴿ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾.

وزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته أي وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال[2].

---

(١) تفسير النسفي (٤/ ٢٨٥) باختصار.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١١٧) باختصار وتصرف.

وهكذا فالمشركين كجبهة من جبهات العداء في الحرب النفسية ضد الرسول محمد ﷺ والمسلمين قد حملوا من المشاعر السيئة والخبايا الخبيثة تجاه الرسول ﷺ ودينه وأتباعه ما حملهم على إدارة دفة من دفات الحرب النفسية ذات هجوم خطير ووسائل متعددة سأبينها عند حديثي عن وسائل الأعداء في الحرب النفسية إن شاء الله.

ثانيًا: اليهود:

اليهود الجبهة الثانية من جبهات العداء للرسول ﷺ في الحرب النفسية:

واليهود: مشتقة من هاد بمعنى تاب ورجع ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي تبنا إليك ومنه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [المائدة: ٤١] كأنهم رجعوا عن شيء إلى شيء[(١)].

قال صاحب لسان العرب[(٢)] «الهود»: التوبة، هاد يهود هودا، تاب ورجع إلى الحق فهو هائد[(٣)].

ومن أشهر أسماء اليهود:

العبريون، الإسرائيليون، ويهود أو اليهود.

وفي سبب تسميتهم اليهود:

١- قيل أنهم سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي تبنا ورجعنا. فاليهود لم يستطيعوا في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة

---

(١) تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بتحقيق السيد أحمد صقر، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م (ص١٧٣).

(٢) صاحب لسان العرب هو: ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري المصري، اللغوي، صاحب اللسان، ولد سنة ٦٣٠هـ، ومات سنة ٧١١هـ، ولي قضاء طرابلس، انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للإمام السيوطي (١/ ٢٤٨)، طبعة دار الفكر.

(٣) لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٧١٨)، ط/ دار المعارف.

الله الواحد التي دعا لها الأنبياء[١].

٢- وقيل أنهم سموا بذلك، لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة[٢].

٣- وقيل أنهم سموا يهود نسبة إلى «يهوذا» الابن الرابع ليعقوب عليه السلام[٣].

اليهود والإسلام

عاش اليهود في شبه الجزيرة العربية بعد أن وصلوا إليها نتيجة تشردهم وخاصة بعد خراب الهيكل على يد تيتطس سنة ٧٠م.

ويحدثنا التاريخ عن وجود اليهود في اليمن عملاء للفرس، وعن وجودهم في شمال الحجاز وقد انحصر وجودهم في شمال الجزيرة بالمدينة وما حولها.

وحين بعث محمد ﷺ كان اليهود يعيشون في المدينة وما حولها[٤].

وقد عاش اليهود عالة على عرب الحجاز حين نافسوهم حياتهم وأرضهم، وظلوا في صراع دائم تارة يتحاربون وتارة يتهادنون، وقد كان اليهود يمارسون الزراعة وأعمال الربا الفاحش، وبث روح الشقاق والفرقة بين عرب المدينة -الأوس والخزرج- مما أدى إلى حروب طاحنة بين الإخوة، حتى حقق اليهود أهدافهم في السيطرة المادية على العرب، عن طريق نفث سمومهم بالمكر والجشع والحقد والفتنة والهمجية.

وكيفما كانت العداوة بين العرب أنفسهم إلا أنهم متفقون على سوء خلق معظم اليهود واحتقارهم وبالتالي كره دينهم المحرف، وعدم الإيمان به مفضلين عليه

---

(١) مقارنة الأديان «المسيحية»، د/ أحمد شلبي (ص٢٤٠)، ط/ النهضة المصرية.

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار الشروق، (ص١٣،١٢)، ١٩٩٧م.

(٣) انظر: تاريخ الملل والنحل، للمرحوم أ/ أمين الخولي (٢/ ٤).

(٤) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، د/ عبد الله التل (ص٣٨) باختصار وتصرف، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت.

عبادة الأصنام[١].

وقبل مبعث محمد ﷺ كان أحبار اليهود قد تحدثوا عن نبي يبعث في الجزيرة العربية ورويت صفاته في كتبهم وأحاديث أنبيائهم، فقد قال ابن إسحاق عن عاصم بن قتادة، عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لنا، ما كنا نسمع من رجال اليهود وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا: إنه قد تقارب زمن نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع منهم ذلك، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا نحن وكفروا به[٢] ففينا وفيهم نزل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ يعني اليهود.

ونزلت فيهم حين كانت غطفان تقاتلهم وتهزمهم، أو حين كانوا يلقون العرب أذى كثيرًا، أو حين حاربهم الأوس والخزرج فغلبتهم.

و﴿ كِتَٰبٌ ﴾ هو القرآن.

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ ﴾ نعت للكتاب.

﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ هو التوراة والإنجيل.

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ يطلبون الفتح ويستنصرون به[٣].

---

(١) نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية، د/ سعيد محمد أحمد باناجة (ص١٦، ١٧)، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص٣٠، ٣١) باختصار وتصرف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (١/ ٤١٩) باختصار وتصرف.

﴿ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ ﴾ أبعدهم عن رحمته وطردهم، وقد كان اليهود عندهم في التوراة وصف النبي ﷺ وبيان زمانه وكانوا يمنون أنفسهم بالنصر على المشركين ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة.

فلما جاءهم النبي ﷺ في يمينه القرآن مصدقًا لما عندهم في التوراة ومؤيدًا بوصفه المعروف عندهم كفروا واستكبروا، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة فلعنة الله عليهم أجمعين[١].

بداية الكيد اليهودي للإسلام والمسلمين:

كان أولى باليهود الذين هم أهل الكتاب وعلى علم بالنبي الجديد وصفاته وكانوا يتهددون به العرب من أهل المدينة أن يكونوا أول الناس اتباعًا له حين علموا بمبعثه عن طريق اتصالهم بمكة للتجارة وللأعمال المختلفة وعن طريق ذهاب بعض أهل مكة إليهم يتبادلون المنافع ولكنهم رغم هذا قد سلكوا مسلكًا مخالفًا، لقد سلكوا مسلك العداء للنبي ﷺ ولدينه منذ اللحظة الأولى وحتى قبل أن يهاجر إلى المدينة وكان من مظاهر هذا العداء.

أ- أنهم كانوا يلقنون الكفار أسئلة يحرجون بها النبي ﷺ.

ب- أنهم ناصروا كفار قريش وأيدوهم في عبادتهم للأصنام.

أ- أنهم كانوا يلقنون الكفار أسئلة يحرجون بها النبي ﷺ:

أنهم كانوا يلقنون العرب من أهل مكة أسئلة يحرجون ويتحدون بها النبي ﷺ منها أن قالوا لهم: سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه: عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن الروح ما هي[٢].

---

(١) التفسير الواضح، د/ محمد محمود حجازي، دار التفسير للطبع والنشر، الزقازيق، ط/ العاشرة، ١٩٩٢م/ ١٤١٢هـ، (١/ ٥٥).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢١٠، ٢١١)، وانظر: بنو إسرائيل في القرآن، د/ محمد سيد طنطاوي (ص١٣٣، ١٣٤).

ب- أنهم ناصروا كفار قريش وأيدوهم في عبادتهم للأصنام:

وكان من مظاهر عدائهم للإسلام ونبي الإسلام أيضًا قبل الهجرة أنهم ناصروا كفار قريش المشركين عبدة الأصنام وأيدوهم في عبادة الأوثان وأكدوا لهم أنها أفضل من الدين الإسلامي الذي يقوم على التوحيد وعبادة رب العالمين[١] فأشار القرآن الكريم إلى عملهم هذا بقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

يقول العلامة الطبري[٢] عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ ...﴾ قال إن هذه الآية نزلت في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ورجلين من اليهود من بني النضير لقيا قريش بموسم، فقال لهم المشركون: أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فإنا أهل السقاية وإنا أهل الحرم، فقالا: لا، بل أنتم أهدى من محمد وأصحابه وهما يعلمان أنهما كاذبان، وإنما حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه، وقيل بل هي صفة حيي بن أخطب وحده.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ هؤلاء الذين وصف صفاتهم أنهم أوتوا نصيبًا من الكتاب وهم يؤمنون بالجبت والطاغوت، هم الذين لعنهم الله، ويقول: أخزاهم الله بإبعادهم من رحمته بإيمانهم بالجب والطاغوت وكفرهم بالله ورسوله، عنادًا منهم لله ورسوله، وبقولهم: ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ ، ﴿ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ ﴾ أي ومن يخزي الله

(١) انظر: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل (ص٤٠).

(٢) العلامة الطبري هو: أبو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب جامع البيان في تفسير القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، ولد سنة ٢٢٤هـ بطبرستان وتوفي سنة ٣١٠هـ ببغداد، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خليكان، تحقيق/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ (٤/ ١٩١).

فيبعده من رحمته، ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ أي فلن تجد له يا محمد ناصرًا ينصره من عقوبة الله التي تحل به، فيدفع ذلك عنه[١].

ومن مظاهر كيد اليهود للإسلام والمسلمين عند الهجرة وبعدها:

أ- طريقتهم في استقبال النبي ﷺ عند هجرته إلى المدينة.

ب- محالفتهم للمنافقين.

ج- تحالفهم مع المشركين.

د- محاولتهم قتل النبي ﷺ.

أ- استقبال اليهود للنبي ﷺ عند هجرته إلى المدينة:

في يوم من أيام التاريخ المشهود، وبينما المسلمون في المدينة، كانوا ينتظرون كعادتهم قدوم النبي ﷺ بعد أن ترامت الأخبار إلى مسامعهم بهجرته إليهم، صاح بهم يهودي، وقد لمح الركب النبوي «يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء»[٢].

أخرج البخاري في حديث الهجرة: أن المسلمين في المدينة حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، كانوا يخرجون كل غداء إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا إلى أهلهم بعد أن طال انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي إلى أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا الرسول ﷺ بظهر الحرة[٣].

واشترك اليهود -في مجموعة- من المهاجرين والأنصار في حسن استقبال صاحب

---

(١) جامع البيان للطبري (٥/ ١٣٥، ١٣٦)، ط/ دار الفكر.

(٢) نسب الأوس والخزرج الذين يجمعهم أب واحد إلى أمهم قيلة بنت كاهل بن عجرة، ولذا كانوا يسمون بأبناء قيلة. انظر: بنو إسرائيل في القرآن مرجع سابق (ص٣٧).

(٣) أخرجه البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٥/ ٧٧).

الدعوة ﷺ رغم أنهم -في مجموعهم- كما ساقت الأخبار الصحيحة والتي حدثتنا أن بعض اليهود قد تنكر للدعوة الإسلامية، وتوجس خيفة من صاحبها ﷺ منذ اليوم الأول من الهجرة.

فعن صفية بنت حيي بن أخطب -رضي الله عنها- قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما في ولد لهما قط، وأهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم النبي ﷺ ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر مغلسين، قالت: فوالله ما رجعا إلا مع مغيب الشمس، قالت: فرجعا إلينا فاترين كسلانين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم، والله قال: أتعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله، قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته -والله- ما بقيت[(١)].

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب، لما قدم النبي ﷺ المدينة، ذهب إليه وسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعوني فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حيي بن أخطب، وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير -فحل إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، ثم رجع إلى قومه- وكان فيهم مطاعًا فقال: أتيت من عند رجل -والله- لا أزال له عدوًا أبدًا، فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابنؤم أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك، قال: لا والله لا أطيعك أبدًا واستحوذ عليه الشيطان، واتبعه قومه على رأيه، قلت: أما أبو ياسر فلا أدري ما آل إليه أمره، وأما حيي فشرب عداوة النبي ﷺ ولم يزل ذلك رأيه حتى هلك[(٢)].

فمن هذين النصين نرى أن بعض اليهود قد أضمروا سوءًا للدعوة الإسلامية منذ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٧٤)، وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٢١٢) باختصار.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢١٢)، وانظر: بني إسرائيل في القرآن مرجع سابق (ص١٣٨).

وصول النبي ﷺ إلى المدينة، ومع ذلك فإن النبي ﷺ قد تغاضى عن عداوة هذا البعض دون أن يجهلها، وعمل على نشر روح التعاون والمودة مع اليهود، فتحدث إلى رؤسائهم وتحدثوا إليه، وتقرب منهم فتقربوا منه، وأباح للمسلمين أن يؤاكلوهم وأن يتزوجوا من نسائهم، وفرح اليهود عندما رأوا النبي ﷺ والمسلمين يستقبلون في صلاتهم بيت المقدس، والذي هو قبلة بني إسرائيل في صلاتهم[١].

وقبل أن أذكر مظاهر كيد اليهود للإسلام والمسلمين بعد الهجرة فسأذكر أولاً موقف الرسول ﷺ والمسلمين معه من اليهود:

قال محمد بن إسحاق: كتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وأقرهم على دينهم، وأموالهم.

وكان مما جاء في الكتاب ويخص اليهود:

* أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

* وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ[٢] إلا نفسه وأهل بيته.

* وأن ليهود بن النجار مثل ما ليهود بني عوف.

* وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

* وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

* وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

* وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

* وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهله، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) يهلك ويفسد، انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٤، ٦٥) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

وأن لبني جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

وأن لبني الشطيبة ما ليهود بني عوف، وأن البرجون الأثم.

وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.

وأن بطانة يهود كأنفسهم.

وأنه لا يخرج منه أحد إلا بإذن محمد ﷺ ، وأنه لا ينحجز على ثقر جرح، وأنه من فتك فبنفسه، وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا.

وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبردون الإثم، وأنه لا يأثر امرؤ بحليفة، وأن النصر للمظلوم.

وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن من أهلها.

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله، وإلى محمد رسول الله ﷺ وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

وأنه لا تجار قريش، ولا من نصرهم.

وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه، ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

وان يهود الأوس ومواليهم، وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة.

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن

بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ[١].

هذه هي المعاهدة التي عقدها النبي ﷺ بين طوائف اليهود، وقد تضمنت كثيرًا من المبادئ السامية، والأسس التي يجب أن تقوم عليها العلاقات بين الأمم، وهذه بعض الأمور التي يمكن أن تستخلص منها:

أولاً: نصت المعاهدة على كفالة الحرية الدينية لليهود، وأباحت لهم أن يقوموا بأداء شعائر دينهم، بدليل أن من بين بنودها «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

ثانيًا: في المعاهدة روح اجتماعية عالية، فهي تقرر أن من خالف نصًا من نصوصها، واعتدى على أحد ممن تكفل لهم الأمن والسلامة، فإن أهل الصحيفة كلهم حرب عليه، وفي ذلك اعتراف صريح بشخصية الجماعة وأن لها حقوقًا على أفراد وعليها واجبات نحوهم، وأن سلامة المدينة يشترك في تحقيقها جميع سكانها.

ثالثًا: المعاهدة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الصادق مع اليهود، من أجل نشر الطمأنينة، والأمن في المدينة، والضرب على أيدي العادين، ومدبري الفتنة أيًا كان دينهم، أو جنسهم بدون تفرقة، أو تمييز بين أحد، وإذا حصل عدوان خارج على المدينة، فالمسلمون واليهود يشتركون في الدفاع عنها.

رابعًا: اشتملت المعاهدة على كثير من المبادئ الإنسانية السامية، كنصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق الخاصة والعامة، والتعاون على دفع الدية، والنداء الأسري، ومساعدة المدين، إلى غير ذلك من المبادئ التي تشعر أبناء البلدة الواحدة كأنهم أسرة واحدة.

خامسًا: نصت المعاهدة على ما كان بين المسلمين وبين قريش من عداوة حينئذ، وحرمت على من اشترك فيها من مسلمين أو يهود، موالاة قريش أو مناصرتها، أو إيواء أحد منها، وأن من فعل ذلك فعليه لعنة الله، وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٤، ٦٥) باختصار وتصرف.

سادسًا: نصت الصحيفة على وجوب اشتراك اليهود مع المسلمين في دفع ما عليهم من نفقات في حالة الحرب، كما نصت على وجوب مؤازرتهم ومناصرتهم للمسلمين بكل طريقة ممكنة، فقد جاء فيها: «وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب».

سابعًا: نصت الصحيفة على أن كل أمر يختلف فيه أهلها، يكون مرد الحكم فيه إلى النبي ﷺ لأنه صاحب السلطة العليا في المدينة.

ثامنًا: تضمنت الصحيفة أن من ارتكب إثمًا يوجب عقوبة نفذت عليه، وأن اشتراكه في هذه الصحيفة لا يعفيه من العقوبة، ومن بين نصوصها «وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم».

تاسعًا: من المكاسب التي نالها المسلمون عن طريق هذه الصحيفة، أنهم أصبحوا أمام عدو واحد هو قريش، لأن الصحيفة أمنتهم جانب اليهود، لو أنهم -أي اليهود- حافظوا على ما اشتملت عليه من مبادئ، ولم ينقضوها بعد زمن قليل من كتابتها.

عاشرًا: ومن المكاسب التي ظفر بها اليهود بسبب هذا المعاهدة، حماية المسلمين لهم من أي اعتداء عليهم، فقد نصت المعاهدة على أن من تبعنا من يهود فإن لهم النصر والإسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم، ولكن اليهود لم يحافظوا على هذه المكاسب؛ لعدم وفاتهم بعهودهم[1].

هذا، وقد علق الأستاذ عبد الرحمن عزام على هذه الصحيفة بقوله:

هذه المعاهدة من أنفس العقود الدولية، وأمتعها، وأحقها بالنظر والتقدير، من كافة الناس، وما أولاها بأن تكون نبراسًا للمسلمين في أصول العلاقات الدولية بينهم، وبين مخالفيهم من أهل الأديان الأخرى، هذا فضلاً عن أن عقدها ابتدأت به الدولة الإسلامية حياتها وابتدأ الاعتراف بالمسلمين كدولة.

---

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي (ص١٤٢، ١٤٣) باختصار وتصرف.

هذه المعاهدة تعاقد فيها المسلمون مع غيرهم من أهل الديانات الأخرى فنشأ عن ذلك أول ميثاق «لجمعية أمم» أساسه النصر للمظلوم، والنصح والنصيحة، والبردون الإثم، وحرمة الأوطان المشتركة، وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره، على أن تصان عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحريتهم.

ولقد سبق الإسلام بهذه المعاهدة عهد «عصبة الأمم» الحديثة، بأكثر من ثلاثة عشر قرنًا وهكذا وضع الرسول ﷺ الأساس المتين للدولة العالمية، والمعاملات الدولية في هذا الميثاق على أساس الحرية للمشتركين فيه وعلى مبدأ الاستقلال.

ومن كل ما تقدم نستخلص: أن اليهود كانوا على علم بأخبار الدعوة الإسلامية في مكة، خصوصًا في السنوات الأخيرة التي سبقت الهجرة، وأنهم في استقبالهم النبي ﷺ عند وصوله إلى المدينة استقبالاً فيه مبالغة -وأن عهدًا- ليس بالطويل من العلاقات الهائدة بينهم وبين المسلمين قد ساد المدينة بعد الهجرة[1].

ب- محالفتهم للمنافقين:

من مظاهر كيد اليهود للإسلام والمسلمين بعد الهجرة:

فعلى الرغم من اعتراف النبي ﷺ والمسلمين بالوجود اليهودي في المدينة ومسالمتهم وموادعتهم لهم إلا أن اليهود لم يتخلوا أمام هذه السماحة عن حقدهم وكراهيتهم وكيدهم للإسلام والمسلمين ومحالفتهم المنافقين للقضاء على الإسلام والمسلمين.

ومن الآيات التي دلت على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي (ص١٤٤) باختصار وتصرف.

يقول العلامة: جلال الدين السيوطي[١] في سبب نزول هاتين الآيتين:

عن عبادة بن الصامت[٢] قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى الرسول من خلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فحالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، قال ففي وفى عبد الله بن أبي نزلت[٣]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الآية [المائدة: ٥١].

ومعنى الآية أن الله سبحانه وتعالى ينهى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم إنها تهدد وتوعد من يتعاطى موالاتهم ووصفه بالظلم، وأن الله لا يحبه وأي عقوبة أفظع من أن يبغض الله إنسانًا[٤].

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ يقول ابن جرير: فإن من تولاهم ونصرهم على

---

(١) هو الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، نشأ يتيمًا وحفظ القرآن وهو دون ثماني سنين، ثم حفظ المتون، وشرع في الاشتغال بالعلم بعد ذلك، واشتغل بالتدريس والإفتاء، ورزق التبحر في علوم شتى، وله مصنفات كثيرة، توفي سنة ٩١١هـ، رحمه الله تعالى، انظر: البدر الطالع (١/ ٣٣٣، ٣٣٤)، ط/ السعادة، القاهرة.

(٢) هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء بالعقبة، شهد المشاهد كلها بعد بدر، روى عن النبي ﷺ كثير وعن غيره من الصحابة، وروى عنه جمع كثير، توفي سنة ٣٤هـ، وله اثنتان وسبعون سنة ﷺ ، انظر: الإصابة (٢/ ٢٦٨)، ط/ دار الفكر، الاستيعاب (٢/ ٤٩٩) ط/ دار الفكر.

(٣) لباب النقول في أسباب النزول للعلامة جلال الدين السيوطي، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (ص٩٢، ٩٣).

(٤) الأساس في التفسير لسعيد حوى (٣/ ١٤٢٢) ط/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحدًا إلا وهو به وبدينه راض وإذا رضي دينه فقد عاد من خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه[١].

ولقد بلغت المودة بين اليهود والمنافقين في المدينة مبلغًا كبيرًا بدليل أن عبد الله بن أبي -زعيم المنافقين- لما حضرته الوفاة أحاط اليهود بسريره وأخذوا يبكون وينتحبون، فغضب لذلك أحد أبناء عبد الله بن أبي وأراد أن يطردهم فمنعه أبوه، وقال له: دعهم فإن قربهم مني يشفي صدري، فقال له اليهود: يا عبد الله نود أن نفديك بدمائنا وأموالنا، ولما مات أرادوا أن يقوموا بدفنه فمنعوا من ذلك، وبعد دفنه أخذ اليهود ينثرون التراب على رؤوسهم من شدة الحزن والألم لوفاة زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي.

هذا ومن الممكن أن يكون وجود اليهود في المدينة من الأسباب القوية التي علمت بعض أهلها خلق النفاق، وذلك لأن العربي صريح بطبعه، وحركة النفاق ما ظهرت في العهد المكي، لأن القرشيين كانوا صرحاء في حربهم للإسلام والمسلمين.

فلما تمت الهجرة وانتصر المسلمون في بدر، بدأ بعض اليهود وتبعهم بعض العرب يتظاهرون بالإسلام[٢].

وقد ساق ابن هشام أسماء عدد كبير من اليهود، الذين أسلموا نفاقًا، وذكر من بينهم زيد بن الصليت، وسعد بن حنيف ورافع بن حريملة ... وغيرهم[٣].

ومما يدل على تحالف المنافقين مع اليهود أيضًا ما ذكره ابن هشام من أن أناسًا من المنافقين اجتمعوا في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل[٤].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٢٧٧) باختصار وتصرف.
(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي (ص٢٤٠) باختصار وتصرف.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٧٨) باختصار وتصرف.
(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٤).

ج- تحالفهم مع المشركين:

ومن مظاهر كيد اليهود للإسلام والمسلمين بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة أيضًا أن تحالفوا مع المشركين ضد النبي ﷺ وأصحابه.

وهذا ما سجلته آيات سورة النساء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١-٥٥].

يقول العلامة الواحدي في سبب نزول هذه الآيات: أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف جاءا إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد! قالوا: نحن ننحر الكوماء ونسقي اللبن على الماء، ونفك العناه ونصل الأرحام ونسقي الحجيج، وديننا القديم ودين محمد الحديث، قال: بل أنتم خير منه أهدى سبيلا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾.

وقال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين ركبًا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشًا على غدر رسول الله ﷺ وينقدوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فنزل كعب على أبي سفيان، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب، ومحمد صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فذاك قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك.

فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب أديننا خير أم دين محمد؟ فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما هو عليه فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني كعبًا وأصحابه[١].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هذا تعجب من حال اليهود واختلف المفسرون في معنى الجبت فقيل هو السحر، والطاغوت: الشيطان، وقيل إن الجبت والطاغوت هو كعب بن الأشرف.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً﴾ أي يقول اليهود لكفار قريش: أنتم أهدى من الذين آمنوا بمحمد سبيلاً، أي أقوم دينًا وأرشد طريقًا[٢].

د- محاولتهم قتل الرسول ﷺ:

ومن مظاهر كيد اليهود للإسلام ونبيه وأتباعه بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة تكررت محاولاتهم لقتل النبي ﷺ ولقد ذكر القرآن الكريم المؤمنين بنعم الله تعالى عليهم وكيف أنه سبحانه نجا نبيه ﷺ من مكر اليهود وأذاهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

ذكر العلامة الواحدي[٣] في سبب نزول هذه الآية: عن مجاهد والكلبي وعكرمة: قتل رجل[٤] من أصحاب رسول الله ﷺ قتل رجلين من بني سليم وبين النبي ﷺ وبين

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص١٢٩، ١٣٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٦٧).

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان أوحد عصره في التفسير، صنف التفاسير الثلاثة، البسيط والوسيط والوجيز وله مؤلفات أخرى منها أسباب النزول، توفي سنة ٤٦٨هـ رحمه الله. انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٩٤).

(٤) هو الصحابي عمرو بن أمية الضمري وقد قتل رجلين ثأرًا لشهداء بئر معونة وكان القتيلان معاهدين للنبي ﷺ ولم يعلم بذلك عمرو. انظر: البداية والنهاية (٤/ ٧٤)، وانظر: هذا الحبيب (ص٢٨٩).

قومها موادعة، فجاء قومها يطلبون الدية فأتى النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم جميعًا، فدخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينوهم في عقلهما، فقالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، وجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لم تجدوا محمد أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحا من بني كعب: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله تعالى يده، وجاء جبريل عليه السلام وأخبره بذلك، فخرج رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

وهذه الآية الكريمة تذكير من الله تعالى المؤمنين بنعمة عظيمة من نعمه، هي نجاة نبيهم محمد ﷺ من قتل أعدائه وأعدائهم وهم اليهود ﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ حيث أوحى إلى رسوله ما دبره اليهود فانصرف وتركهم لم يظفروا بما أرادوا، ثم الآية أمر من الله تعالى المؤمنين بتقواه إذا هي سلم كمالهم وسبيل نجاحهم وهي عبارة عن امتثال أمره وأمر رسوله واجتناب نهيهما وأشار إلى التوكل على الله في جميع الأمور.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [2] ولم تكن هذه المحاولة لقتل النبي ﷺ هي المحاولة الوحيدة ومما يدل على ذلك:

ما ذكره محمد بن شهاب الزهري في المغازي النبوية ما ملخصه أن بني النضير أجمعت على الغدر بالرسول ﷺ فأرسلت إليه: اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرًا، حتى نلتقي في مكان كذا، نصف ما بيننا وبينك فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص١٥٩).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر جابر الجزائري، جدة، راسم للدعاية والإعلان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م (١/ ٥٠٨، ٥٠٩) باختصار.

ثلاثون حبرًا من اليهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه كيف نفهم وتفهم ونحن ستون رجلاً، اخرج في ثلاث من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فيسمعوا منك فإن آمنوا آمنا كلنا وصدقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه وخرج اليهود أيضًا واشتملوا على الخناجر، وأراد الفتك برسول الله فأخبر الرسول ﷺ بذلك فحاصرهم وأجلاهم عن المدينة[١].

ومن الأدلة على تكرر محاولاتهم لقتل النبي ﷺ:

عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه قال: أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «**اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود**» فجمعوا له، فقال لهم: «**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**» قالوا: نعم، فقال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟**» فقالوا: نعم، فقال: «**ما حملكم على ذلك؟**» فقالوا: أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريح منك وإن كنت نبيًا لم يضرك[٣].

وعن أنس[٤] أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت أن أقتلك، قال: «**ما كان الله ليسلطك**

---

(١) انظر: المغازي النبوية لابن شهاب الزهري (ص٧٢، ٧٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٣٩)، والمواهب اللدنية (٢/ ٨١).

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وأبو هريرة كنيته، أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة، ولازم النبي ﷺ وكان أكثر الصحابة رواية على الإطلاق، وأحفظهم وله مناقب كثيرة توفي سنة سبع أو تسع وخمسين عن ثماني وسبعين سنة رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٤/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ (٧/ ١٨٠).

(٤) هو الصحابي الجليل: أنس بن مالك بن النضر ضمضم خادم رسول الله ﷺ عشر سنين ودعا له الرسول بالبركة في رزقه وماله وولده فقيل ولد له ثمانية وسبعون ذكرًا وبنتان، توفي سنة ٩٢هـ وقيل ثلاث وتسعين عن عمر يناهز مائة سنة وعشر، انظر: الاستيعاب (١/ ١٠٩، ١١١).

على ذلك» قال: أو قال: «**عليّ**» قال: قالوا[١]: ألا تقتلها؟ قال: «**لا**»، قال: فمازلت أعرفها في لهوات[٢] رسول الله ﷺ[٣].

وعن عائشة[٤] رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرض موته الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا أوان، وجدت انقطاع أبهري[٥] من ذلك السم**»[٦].

وكان مع النبي ﷺ الصحابي بشر بن البراء[٧] ازدرء لقمة من الشاة المسمومة فمات[٨].

وهكذا فقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أنه:

---

(١) أي الصحابة.

(٢) لهوات: جمع لهاة وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، والمراد أنه بقي للسم علامة وأثر. انظر صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السم (٤/ ١٧٢١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم، كتاب السلام، باب السم برقم (٢١٩٠) (٤/ ١٧٢١) طبعة عيسى الحلبي.

(٤) هي الصحابية الجليلة أم المؤمنين وأفضل أزواج النبي ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، روت عن النبي ﷺ الكثير وعن أبيها وعمر وروى عنها أختها أم كلثوم وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث وجمع من الصحابة، كانت من أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة توفيت سنة ٥٨هـ، رضي الله عنها. انظر: الإصابة (٤/ ٣٥٩)، والاستيعاب (٤/ ٣٥٦).

(٥) الإبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه، وهو الشريان الذي يوزع الدم من القلب إلى بقية أعضاء الجسم. صحيح البخاري (٤١٠/ ٢٥٧)، ط/ دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.

(٦) صحيح البخاري في فتح الباري (١٠/ ٢٥٧)، ط/ دار الريان للتراث.

(٧) بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي من بني سلمة شهد العقبة وبدر وأحد، ومات بخيبر سنة سبع من الهجرة من الأكلة التي أكل مع رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة، قيل إنه مات في المكان الذي أكل فيه، وقيل استمر وجعه سنة ثم مات. انظر: أسد الغابة (١/ ٢١٨).

(٨) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٢٥).

opeikandi.com

قد وصل شيء قليل جدًا من السم عن طريق لعاب النبي ﷺ إلى معدته ثم إلى جسمه وأثر هذا السم القليل على حياة رسول الله ﷺ حتى قطع أبهر قلب الرسول ﷺ وهذا بنص حديث الرسول ﷺ الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها.

والمسلمون اليوم لهم ثأر عند هؤلاء اليهود الذين قتلوا نبيهم واغتصبوا مسراه ومعراجه ودنسوا قبلته الأولى وأحرقوا المسجد الأقصى وعاثوا فيه فسادًا ولا يزالون[1].

إن ما حدث لرسول الله ﷺ يؤكد الحقيقة القرآنية، أن اليهود حاقدون على البشر عامة وعلى الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس خاصة ولا يذهب غيظ قلوبهم إلا بقتلهم وسفك دمائهم ومن الإحصائيات التي تؤكد ذلك.

أنه من يتتبع التاريخ في جميع مراحله يجد أن رذيلة القتل والاغتيال طبيعة اليهود، في كل عصورهم، وهذه بعض جرائم القتل والاغتيال التي سجلها التاريخ عليهم:

أ- جاء في الكتاب رقم ٧٨ الذي وضعه المؤرخ كساسيوس فصل ٣٢ عن حقبة القرن الثاني للميلاد ١١٧م ما ملخصه:

عمد اليهود في هذه السنوات إلى ذبح الرومان واليونان، وأكلوا من لحومهم وسلخوا جلدوهم، وقطعوا أجسام كثيرين منهم نصفين من الرأس فنازل، وألقوا بكثير منهم إلى الحيوانات حتى بلغ القتلى ٢٢٠ ألفًا.

ب- ومنذ أن وطأت أقدام اليهود أرض فلسطين وهم يقومون بجرائم تقشعر من هولها الأبدان وهذه نماذج من جرائمهم التي ارتكبوها ضد عرب فلسطين:

١- في ٨ مايو ١٩٤٨م اعتدى اليهود على قرية المجورة وقبضوا على ٦٠ شاب ثم قتلوهم أمام أعين أهليهم.

٢- وفي فبراير ١٩٥١م وضع اليهود القنابل داخل قرية شرفات فقتل عدد كبير من الرجال والنساء.

---

(١) انظر شغب اليهود على الأنبياء، د/ محمد عبد القادر أبو فارس (ص١٤٩).

٣- وفي أكتوبر ١٩٥٣م انقض اليهود على قرية قبية فنسفوا منازلها بالمدافع وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ.

وكان عدد السكان العرب سنة ١٩٤٧م داخل المنطقة التي احتلها اليهود من فلسطين ٣٠٠ ألف نسمة، أما في سنة ١٩٦٤م فقد صار عددهم ٢٢٠ ألف نسمة أي أنهم نقصوا ٨٠ ألف نسمة بسبب العدوان الصهيوني.

ولقد استعمل اليهود في القضاء على خصومهم أخس أنواع الغدر والنذالة، فهم لا يواجهون أعداءهم في وضح النهار، وإنما يرتكبون جرائمهم عن طريق الخيانة والخديعة، من ذلك أنهم في مارس سنة ١٩٦٣م أرسلوا طردًا من المتفجرات إلى ستة من الخبراء الألمان في القاهرة فقتلوهم جميعًا، هذه هي بعض مفاسد اليهود في الأرض عن طريق القتل والاغتيال والتآمر ولو استقصيناها بشيء من التفصيل لاحتاج ذلك إلى مجلد ضخم[1].

بعض صفات اليهود التي تحدث عنها القرآن:

والقرآن الكريم في حديثه عن بني إسرائيل يربط ربطًا محكمًا بين طباع وأخلاق المعاصرين منهم للنبي ﷺ وطباع وأخلاق آبائهم الأولين الذين عاصروا موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وذلك ليبين أن ما عليه الأبناء من فسوق وعصيان ومحاربة لدعوة الإسلام؛ أنما هو ميراث من الخلق السيئ توارثه الخلف عن السلف وأخذه الأبناء عن الآباء.

ومن الأدلة على صدق القرآن في حديثه عن بني إسرائيل أن ما وصفهم به من صفات نراها في كل زمان ومكان منطبقة عليهم ولم تزدهم الأيام إلا رسوخًا فيها.

ونحن المسلمين قد نالنا من اليهود أذى كثير، فهم الذين حاربوا الدعوة الإسلامية بكل سلاح وهم الذين اغتصبوا -بمعاونة دول الكفر- بقعة من أرضنا المقدسة وهي -

(١) بنو إسرائيل في القرآن (ص٦١٣-٦١٥) باختصار وتصرف.

فلسطين- وأقاموا عليها دولة لهم في عام ١٩٤٨م[١].

وفي الصفحات القادمة إن شاء الله سوف أتعرض لبعض صفات اليهود النفسية التي طويت عليها صدورهم والتي تجسد مدى العداء الذي يضمره اليهود للمسلمين مما نتج عنه حربًا نفسية ضروسًا قادها اليهود ضد المسلمين.

وهذه الصفات النفسية منها:

أولاً: الجبن.

ثانيًا: الإجرام والقسوة.

ثالثًا: الكذب والافتراء.

أولاً: الجبن:

يقال: «جبن - جبنًا»: تهذيب الإقدام على ما لا ينبغي أن يخاف[٢].

وقيل: الجبن: ضعف القلب عما يحق أن يقوى عليه[٣].

والجبن طبع اليهود الأصيل وغريزتهم الراسخة في نفوسهم مهما حاولوا التظاهر بعكسها حيث إنهم دائمًا وأبدًا يظهرون على حقيقتهم جبناء بالفطرة، يهابون الموت، لأنهم لا يؤمنون بالله ربًا للعالمين، ولا بالدار الآخرة بعد الموت، وحين يحاربون يفضلون معارك الغدر والاحتماء بالغير واستعمال العملاء[٤].

ومن الآيات الكريمة التي تدل على تأصل هذه الصفة فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

---

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي (ص٥).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ١٠٦)، ط/ دار الدعوة.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص٨٥)، ط/ دار الفكر.

(٤) نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية، د/ سعيد محمد أحمد باناجة، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (ص٢٠).

والمعنى: ولتجدن يا محمد اليهود من بني إسرائيل أحرص الناس على حياة حتى من الذين أشركوا وهم لذلك يجبنون عن كل ما يعرضهم لخسارة هذه الحياة.

وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهود أنهم أحرص الناس على الحياة لعلمهم بما قد أعد لهم في الآخرة على كفرهم مما لا يقربه أهل الشرك، فهم للموت اكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث، لأنهم يؤمنون بالبعث ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب وأن المشركين لا يصدقون بالبعث ولا العقاب لذا فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت.

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ أي وما التعمير وهو طول البقاء بمزحزحه من عذاب الله.

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ يعني محيط بجميعها ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم من العقاب جزاءها[١] فهم لجبنهم وخور عزائمهم يهابون الموت ويجبنون أمام مواقف الشجاعة التي قد تعرض صاحبها للخطر.

ثانيًا: الإجرام والقسوة:

يقال: «أجرم» ارتكب جرمًا، ويقال أجرم عليهم وإليهم: جنى جناية.

و«اجترم الذنب»: ارتكبه[٢] وقيل أصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه[٣].

أما القسوة: فهي غلظ القلب وأصله من حجر قاس ومعنى قسوة القلب عدم خلوصه من قولهم درهم قسى وهو جنس من الفضة المغشوشة فيها قساوة أي صلابة[٤].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جعفر بن جرير الطبري، ط/ دار الفكر (١/ ٤٢٨، ٤٣٠) باختصار وتصرف.

(٢) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية (ص١٠١، ١٠٢).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص٨٩).

(٤) المصدر السابق (ص٤١٩).

والإجرام والقسوة صفتان متأصلتان في اليهود حيث لم يعرف التاريخ من هم أقسى قلوبًا منهم ولقد وصفهم القرآن الكريم بذلك وهي صفة لازمتهم على مر الأجيال والعصور(١).

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ خطاب لأولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى أو للذين هم في زمن محمد ﷺ ومعنى ﴿ ثُمَّ ﴾ استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة، ووصف القلوب بالقسوة والغلظة لبعدها عن الاعتذار والاتعاظ، ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ مثلها في القسوة ﴿ أَوْ ﴾ هي ﴿ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ من الحجارة، وقال: أشد قسوة مع إمكان بناء أفعل التفضيل من فعل القسوة، لكونه أدل على فرط القسوة، أو لأنه لم يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة، كأنه قيل: اشتدت قسوة الحجارة وقلبوهم أشد قسوة منها.

ثم أخذ في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي إن منها للذي فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير.

وإن منها للذي ينشق انشقاقًا طولا أو عرضًا فينبع منها الماء، وأما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتأثر بالوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الدلائل.

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ مجاز عن انقيادها لأمر الله وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تتأثر وقيل الكلام على الحقيقة.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيد والمعنى أنه بالمرصاد لهؤلاء القاسية

---

(١) انظر: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية لعبد الله التل، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م (ص٥٤، ٥٥).

قلوبهم[١].

ثالثًا: الكذب والافتراء:

يقال «افترى» القول: اختلقه، الفرية: الكذبة، والفرى من الأمور: المختلق والأمر العجيب[٢].

والكذب والافتراء: من طباع اليهود المتأصلة فيهم والتي استغلوها ضد أنبياء الله عز وجل ووحيه فافتروا عليهما بالكذب بهدف صد الناس عنهم وزعزعة ثقتهم فيهم فهم الذين اختلقوا على موسى عليه السلام الأكاذيب والعيوب التي ذكرتها في إيذائهم له في المبحث الخاص بسيدنا موسى عليه السلام وإلى ذلك أشار القرآن الكريم إليها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وهم الذين حاولوا الكذب والافتراء على العقيدة الإسلامية في عهد رسول الله محمد ﷺ ففضحهم الله سبحانه وخيب أملهم[٣].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١-٧٢].

يقول العلامة أبو حيان[٤] في تفسيره لهذه الآية:

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، ط/ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بدون تاريخ (١/ ٣٤٥-٣٤٧) باختصار.

(٢) المعجم الوجيز (ص٤٧٠).

(٣) طباع اليهود من خلال مصادرهم، د/ فرج محمد إبراهيم الوصيف (ص١٢٨).

(٤) أبو حيان هو: الإمام محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه، ومفسره ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، له يد طولى في التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم وله مصنفات عديدة توفي سنة ٧٤٥هـ، انظر: طبقات المفسرين

﴿ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ فسر اللبس بالخلط والتغطية، وتكلم المفسرون هنا ففسروا ﴿ ٱلۡحَقَّ ﴾ بما يجدون في كتبهم من صفة الرسول و﴿ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ الذي يكتبونه بأيديهم ويحرفونه، وقيل إظهار الإسلام وإبطال اليهودية والنصرانية، وقيل الإيمان بموسى وعيسى والكفر بالرسول، وقيل يتأولون الآيات التي فيها الدلالة على نبوة محمد ﷺ على خلاف تأويلها ليظهر منها للعوام خلاف ما هي عليه.

﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ بطلان ما تقولون.

وقيل هو ما ذكره تعالى بعد ذلك من قوله ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ ﴾ وقيل إقرارهم ببعض أمر النبي ﷺ والباطل كتمانهم لبعض أمره، وقيل إقرارهم لنبوته ﷺ ورسالته و«الباطل» قول أحبارهم ليس رسولاً إلينا بل شريعتنا مؤبدة[1].

وهكذا مثلت اليهود دورًا خطيرًا في الحرب النفسية المثارة ضد الرسول ﷺ ودينه وأتباعه من أول لحظة، استخدموا فيها كثير من المكائد التي تعكس سوء طوية اليهود وخبث نفوسهم واعوجاج فطرتهم.

للداودي (٢/ ٢٨٧)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر (٤/ ٣٠٢) ط/ دار الجيل.

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣م، (٢/ ٥١٥) باختصار.

ثالثًا: النصارى:

جبهة أخرى من الجبهات التي ناصبت الرسول ﷺ العداء في الحرب النفسية.

والنصارى: جمع نصراني وهو التابع لدين المسيح عليه السلام[١].

تواجد النصرانية في بلاد العرب قبل الإسلام:

كانت هناك قبائل عربية ضخمة كانت متنصرة قبل الدعوة الإسلامية مثل بكر وتغلب ولخم وبهاء وجزان وكانت النصرانية واسعة في قبيلة ربيعة وكان بنو كلب كلهم من النصارى وكانت للعرب المسيحيين أسقفيات مشهورة في اليمن[٢].

والنصارى لا يقلون عن اليهود في خطرهم وحقدهم على رسول الله ﷺ فلقد كرهوا رسول الله ﷺ من أول يوم وناصبوه العداء وقتلوا سفيره الحارث بن عمر الأزدي واشتبكوا مع المسلمين في مؤتة وأخذوا يستعدون للانقضاض على الدولة الإسلامية في الجزيرة العربية فجهز النبي ﷺ جيشًا قوامه ثلاثون ألف مقاتل وساروا إلى تبوك[٣] فلم تجرؤ الدولة الرومانية الصليبية أن تشتبك معه وانسحبت جيوشها إلى العمق فأخذ الجزية من الإمارات المحازية لحدود الدولة الشمالية وعاد سالمًا غانمًا[٤].

---

(١) القاموس القويم للقرآن الكريم، للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م (٢/ ٣٦٩).

(٢) الإسلام والمسيحية، إلسكي جوسافسكي، ترجمة د/ خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (ص٤٠) جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ نوفمبر ١٩٩٦م.

(٣) غزوة تبوك كانت في رجب سنة ٩هـ، هم الرسول ﷺ بها لما بلغه أن الروم قد جمعت جموعًا كثيرة بالشام لمحاربة المسلمين وكان الوقت فيها زمن عسرة ولذا سميت بغزوة العسرة، خلف الرسول ﷺ علي رضي الله عنه على المدينة حين هم بالخروج للغزوة وأقام الرسول ﷺ بتبوك بضعة عشر ليلة صالح فيها ولاة الروم على الجزية. انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣) ط/ دار المنار.

(٤) انظر: في ظلال السيرة النبوية، غزوة الأحزاب، د/ محمد أبو فارس (ص١٤٤-١٤٦) ط/ دار الفرقان للنشر والتوزيع.

والتاريخ يحدثنا عن جرائمهم مع المسلمين على مر العصور كلما حانت لهم الفرصة لذلك فما الحروب الصليبية إلا امتداد لحقد دفين أضمره النصارى للمسلمين على الرغم من تفرقهم فيما بينهم إلا أنهم اجتمعوا في حربهم ضد المسلمين وحققوا انتصارات عديدة ونجحوا في إسقاط الخلافة العثمانية.

ونظرًا لضعف المسلمين في الآونة الأخيرة فلقد أغروا النصارى بهم فوزعت الدول النصرانية الدول الإسلامية نهبًا لها وأمسكوا بناصية الأمور في العالم الإسلامي المترامي الجوانب، الذي ضعف حماته يوم تركوا كتابهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام(١).

والقرآن الكريم يصور في تعبير موجز واضح الدلالة حقيقة الصراع بين المسلمين وأعدائهم من اليهود والنصارى وأن هذا الصرع لن ينته ما دام المسلمون مستمسكين بدينهم، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فالآية الكريمة توضح مدى ما وصل إليه هؤلاء اليهود والنصارى من تعصب لما وضعوه من تقاليد وأهواء ثم سموها دينًا ولا يقبلون من أحد إلا أن ينضم إلى هذا الدين، فهم مستمرون في حربهم ضد المسلمين حتى يحيدوا عن إسلامهم ويتبعوا دينهم وهنا ينالون رضاهم فالخطاب في الآية الكريمة وإن كان موجهًا للرسول ﷺ فهو موجه إلى جميع أمته.

ثم يأمر الله تعالى رسوله بقوله ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ أي أجهر بقول الحق وهو أن الهدى الصحيح هو الذي أنزله الله على أنبيائه وليس هذا الذي وضعوه بأهوائهم ففرقوا دينهم وكانوا شيعًا.

---

(١) انظر الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د/ علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، (ص٨، ٩).

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ التي أضافوها إلى كتبهم وجعلوها أصولاً وفروعًا لدينهم.

﴿ بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ اليقين، بالوحي الإلهي المبين، الذي بين ما كان منهم من تحويل القول عن معناه بالتأويل وتحريفهم الكلم عن مواضعه، ونسيانهم حظًا مما ذكروا به.

﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي فإنك لن تنجح ولن تصل إلى حقك بمجاراتهم على باطلهم لأن الله لا ينصرك على ذلك إذ لا يرضيه أن يكون اتباع الهوى طريقًا إلى الهدى(١).

فالحرب إذن دائرة وسخط اليهود والنصارى على المسلمين باق لن يتزعزع ما دام المسلمون قائمين على دينهم.

والنصارى كجبهة من جبهات العداء للمسلمين ما زالوا يفعلون الأفاعيل لمحاربة المسلمين وصدهم عن دينهم، مستخدمين أقنعة مختلفة من الاستعمار والاستشراق والتنصير، ويستخدمون وسائل مختلفة من أحدثها صناعة الكوارث داخل المجتمعات الإسلامية فهم يقولون: لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية فلا بد من وجود أزمات تدفع الناس خارج حالة التوازن التي اعتادوها، إن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمرًا مهمًا في عملية التنصير، وإن إحدى معجزات عصرنا أن أصبح كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكومتها التي كانت تناهض العمل التنصيري، فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى(٢).

وهكذا فالنصارى كجبهة من جبهات العداء للرسول ﷺ في الحرب النفسية لعبت

---

(١) تفسير المنار (١/ ٣٦٠) باختصار وتصرف.

(٢) مجلة صوت الأزهر، العدد السادس والثلاثون، الجمعة ٢٩ صفر ١٤٢١هـ/ ٢ يونيو ٢٠٠٠ مقالة بعنوان عولمة الثقافة واللغة والدين أيضًا بقلم د/ محمد عمارة.

دورًا كبيرًا في هذه الحرب قديمًا وحديثًا ولعل دورهم الآن أصبح أكثر بروزًا في حربه ضد المسلمين سواء كانت تلك الحرب عسكرية أو نفسية «سياسية» وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على توارث الأجيال منهم مشاعر الحقد والعداء والكراهية للمسلمين جيلاً بعد جيل وهذا ما يجب أن يفطن إليه المسلمون ويعملون جاهدين لمكافحته.

obeikandl.com

رابعًا: المنافقون:

الجبهة الرابعة من جبهات العداء للرسول ﷺ في الحرب النفسية هم المنافقون، وأخال هذه الجبهة من أخطر الجبهات إن لم تكن أخطرها على الإطلاق؛ لأنهم يتزيون بزي الإيمان فالاحتراز منهم عسير.

والنفاق في اللغة: مصدر نافق نفاقًا ينافق نفاقًا وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره فإنه إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه[١] وقيل هو من النفق وهو السرب الذي يستتر فيه[٢].

والنفاق في الاصطلاح: معناه إظهار الإسلام والخير وإبطان الكفر والشر سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧]. أي الخارجون من الشرع[٣].

فالنفاق من أخطر ما يهدد كيان أي مجتمع لأن المنافق يخادع ويناور ولا يظهر حقيقة أمره فتكون الوقاية منه والحذر أمر شاق وعصيب.

ولما كان لهم هذا الخطر توعدهم الله سبحانه بأشد أنواع العذاب فقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

يقول العلامة ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:

أي يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ وهم في أسفل النار، وقيل الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم فتوقد من تحتهم ومن فوقهم وهي مغلقة مقفلة[٤].

و﴿ ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ ﴾ مصير يتفق مع ثقلة الأرض التي تلصقهم بالتراب، فلا

---

(١) النفاق، لعبد الرحمن الدوسري (ص٨)، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢.
(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور فعل نفق (١٢/ ٢٣٥).
(٣) كتاب التوحيد، د/ صالح آل فوزان (ص١٦) مكتبة الرياض.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٧٠) باختصار.

ينطلقون ولا يرتفعون، ثقلة المطامع والرغائب والحرص والحذر والضعف والخور، الثقلة التي تهبط بهم إلى موالاة الكافرين ومواراة المؤمنين، والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهين مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[١].

النفاق لازمة من لوازم الدعوات:

إنه مما لا شك فيه أن النفاق لازمة من لوازم الدعوات كالظل للإنسان يرحل مع ترحالها ويسير في ركابها ويقف لوقوفها، ولو تصفحنا تاريخ الدعوات التي كافحت وكوفحت وحارب وحوربت وأوذي أهلها واضطهدوا أو انتصروا بعد شديد ظلم وطول اضطهاد لوجدنا أن لهؤلاء المنافقين مجالاً يفوق كل مجال، وإذا جاز لإنسان ما أن ينفي أن النفاق لازمة من لوازم الدعوات فهل يجوز له أن ينفي أن الناس معادن فيهم الغث والسمين والطيب والخبيث.

إن كل دعوة من الدعوات لا بد وأن يبتلى أهلوها ولا مناص من امتحان ذويها، تلك طبيعة الدعوة أن يسخر الله لها قومًا يؤمنون بها ويجاهدون من أجلها، وقومًا يحاربونها ويكفرون بها وقومًا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[٢].

بداية ظهور المنافقين كجبهة معادية للإسلام:

إن معسكر المنافقين لم يبرز حتى بدر ووجود أفراد محددين لا يصل خطره إلى أن يطلق عليه اسم معسكر أو تجمع إنما ظهر بعد الانتصار الحاسم في بدر حيث تحول كثير من المشركين منافقين يأتمرون بأمر عبد الله بن أُبي الذي كانت الخزرج تتوجه وكانت وما زالت الزعامة في دمه ولكنه لم يعد له زعامة بعد مجيء الرسول ﷺ ولم يعد قادرًا على أن يواجه الرسول ﷺ بالعداوة الواضحة فأمسك العصا من الوسط وقاد

---

(١) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٢/ ٧٨٥).

(٢) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل، باختصار وتصرف (٢/ ٧٦)، ط/ دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

معسكر المنافقين[١].

بعض صفات المنافقين:

لقد كشف القرآن الكريم عن صفات المنافقين ودخائل نفوسهم حتى يعرفهم المؤمنون ويحترسون منهم، ومن هذه الصفات ما يلي:

أولاً: ادعاء الإيمان.

ثانيًا: الخداع.

ثالثًا: ادعاء الصلاح.

رابعًا: السخرية من المؤمنين.

خامسًا: موالاة الكفار.

سادسًا: إثارة الفتنة والبلبلة بين المؤمنين.

سابعًا: الخوف من المستقبل.

أولاً: ادعاء الإيمان:

ومن الآيات التي توضح ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ المراد بهم المنافقون، ﴿ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ إنما يقولون ذلك إذا جاءوا إلى النبي ﷺ فقط لا في نفس الأمر وليس الأمر كذلك، ولقد كذبهم الله في شهادتهم بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾، وفي اعتقادهم بقوله: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[٢].

---

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، أ/ منير الغضبان باختصار وتصرف (ص٢٤٨)، ط/ مكتبة المنار، الأردن.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧) باختصار وتصرف.

obeikandi.com

ثانيًا: الخداع:

والخداع هو: إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه[١].

قال تعالى في معرض وصف المنافقين بهذه الرذيلة: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ٩، ١٠].

والخداع: الحيلة والمكر، والمخادع يظهر خلاف ما يبطن، وهؤلاء يخادعون رسول الله والذين آمنوا، وضرر الخداع راجع إليهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣] والمتمادي في الذنوب المعتاد لها، لا يشعر بنتائجها الكامنة فيه البادية في سائر أحواله، فهؤلاء أصبحوا وقد أكل الحسد قلوبهم وأحاط الجهل بها، فصار ذلك مرضًا لازمًا لها، فزادهم الله مرضًا بإعلاء شأن النبي ﷺ وتضاعف النصر وتكرر[٢].

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ هذا توعد من الله عز وجل للمنافقين بالعذاب الأليم على حين توعد الكافرين بالعذاب العظيم والأليم أشد هولاً ونكالاً من العظيم، فقد يكون العظيم عظيمًا في شخصه، وهيئته، وليس عظيمًا في أفاعيله وسطوته... أما الأليم فهو البالغ في الإيلام، ولو ضؤل شخصه[٣] فهم استحقوا العذاب الأليم لسوء فعالهم وقبح دخائلهم وخطورة خداعهم.

ثالثًا: ادعاء الصلاح:

فالصلاح ضد الفساد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٥]، أو ضد السوء كما في قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢].

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ص١٤٤).

(٢) تفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ الطنطاوي (١/ ٢٩) ط/ دار الفكر.

(٣) التفسير القرآن للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب (١/ ٣٢)، ط/ دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

ولقد عبر القرآن الكريم عن ادعاء المنافقين للصلاح كذبًا وافتراءًا في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، فهم يدعون أنهم أهل الصلاح وأن نفاقهم هو عين الصلاح ولكن الله سبحانه أبطل زعمهم، فهم المفسدون، ولكن جهلهم جعلهم لا يشعرون بأن هذا إفسادًا وليس إصلاحًا.

والفساد: خروج الشيء عن حد الاعتدال والصلاح ضده، والفساد في الأرض: هيج الحروب والفتن التي تؤدي إلى اختلال أمر المعاش والمعاد، والسفه: خفة في العقل وفساد في الرأي، ومنه قيل ثوب سفيه: أي رديء النسيج.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ المنهي عنه هنا الأسباب المؤدية إلى الفساد من إفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم بالمؤمنين وتنفيرهم من اتباع محمد ﷺ إلى نحو ذلك من فنون الشر وصنوف الفتن ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي لا شأن لنا إلا الإصلاح، فنحن بعيدون عن شوائب الإفساد باتباعنا رؤساءنا الذين استنبطوا تعاليمهم من الأنبياء.

وهكذا شأن المفسدين في كل زمان يدعون في إفسادهم أنه هو الإصلاح بعينه، وأي إفساد في الأرض أعظم من التنفير من اتباع الحق، والسير في منهاج الباطل ومؤازرة أهله.

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ أي وحدهم هم المفسدون دون من أومأوا إليه لأن لهم سلفًا صالحًا تركوا الاقتداء بهم، وفي هذا الأسلوب مبالغة في الرد عليهم ودلالة على السخط العظيم ولكن لا يشعرون بهذا الإفساد لأنه أصبح غريزة في طباعهم.

عدد الله عز وجل في هذه الآيات بعض شناعاتهم المترتبة على كفرهم ونفاقهم، ففصل بعض طبائعهم وجناياتهم وذكر بعض هفواتهم ثم أظهر فسادهم وأبان بطلانها[1].

---

(١) تفسير المراغي، تأليف الشيخ أحمد مصطفى المراغي (١/ ٥٢، ٥٤) باختصار وتصرف، ط/ مصطفى الحلبي.

رابعًا: السخرية من المؤمنين:

لقد دأب المنافقون على السخرية والاستهزاء بالمؤمنين وقد حكى القرآن الكريم ذلك في أكثر من موضع منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٣، ١٤].

قال مجاهد[(١)]: إن أول سورة البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين[(٢)].

ويقول الخازن[(٣)] في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ يعني المنافقين وقيل اليهود.

﴿ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ يعني المهاجرين والأنصار، والمعنى أخلصوا في إيمانكم كما أخلص هؤلاء في إيمانهم لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان.

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ ﴾ أي الجهال فإن قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقوله: أنؤمن كما آمن السفهاء، قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ

(١) مجاهد هو مجاهد بن جبر بن الحجاج المكي، المقرئ، المفسر، الإمام، روى عن خلق كثير روى عنه عكرمة وعطاء وقتادة وآخرون وكان عالمًا بالتفسير، قال عنه قتادة أعلم من بقى بالتفسير مجاهد، توفي سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله تعالى. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٠٥)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٣)، صفوة البيان لابن الجوزي (٢/ ٢٠٨)، ط/ دار المعرفة.

(٢) تفسير مجاهد (١/ ٦٩)، ط/ المنشورات العلمية، بيروت.

(٣) الخازن هو: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيخي، سمي بالخازن لأنه كان خازن الكتب، ولد سنة ٦٧٨هـ ببغداد ومن مصنفاته: «مقبول المنقول»، و«شرح العمدة» و«السيرة النبوية» وغيرها، توفي سنة ٧٤١هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٤٢٢، ٤٢٣).

ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعني الجهال، وإنما سمي الله المنافقين سفهاء لأنهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أنهم كذلك(١).

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اللقاء المصادفة وهي الاجتماع من غير مواعدة يقال: لقيته ولاقيته إذا صادفته واستقبلته ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ أي كإيمانكم، ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ منهم ورجعوا إلى شياطينهم أي الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم يُظهرون كفرهم -وإضافتُهم إليهم للمشاركة في الكفر- أو كبار المنافقين والقائلين صغارهم.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي في الدين والاعتقاد، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بأصحاب محمد ﷺ أي نسخر بهم بإظهار الإسلام لأن المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه فهذا تأكيد لما قبله أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ إن صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدَّعون الإيمان فأجابوا بذلك(٢).

ولقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم استهزاءهم وقال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

خامسًا: موالاة الكفار:

الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعدًا حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد والولاية، وجعل الله عز وجل المنافقين شرًا من الكافرين قال تعالى:

---

(١) تفسير الخازن المسمى «لباب التأويل في معاني التنزيل» (١/ ٣٤)، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) تفسير القرآن العظيم للشيخ الخطيب الشربيني المسمى بالسراج المنير (١/ ٣٥، ٣٦)، ط/ دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥]؟

ونفى الله تعالى الولاية بين المؤمنين والكافرين في غير آية وجعل بين الكافرين والمنافقين موالاة في الدنيا(١) قال تعالى تعبيرًا عن موالاة المنافقين للكافرين: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ يا محمد، ﴿ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أي مؤلمًا هو النار وموضع بشر مكان أنذر تهكمًا بهم(٢).

ثم وصف الله عز وجل الأعمال المترتبة على تزلزل العقائد فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ أي أيتعززون بموالاتهم وموادتهم(٣).

أي أن هؤلاء المنافقون الذين يتخذون الكافرين المعادين للمؤمنين أولياء وأنصارًا ويتجاوزون ولاية المؤمنين ويتركونها، ويمالئون الكافرين عليهم، اعتقادًا منهم أن الدولة ستكون لهم، فيجعلون لهم يدًا عندهم.

﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ العزة: القوة والمنعة، أي إن كانوا هم بذلك يطلبون عندهم الغلبة والمنعة، فإن العزة لله يؤتيها من يشاء، فعليهم أن يطلبوها منه تعالى بصادق إيمانهم واتباعهم هدايته التي أرشد إليها أنبياءه(٤).

فموالاة الكفار من ديدن المنافقين لسوء فقههم في الدين واعوجاج فطرتهم.

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ص٥٢٣، ٥٢٤) باختصار وتصرف.
(٢) تفسير القرآن العظيم للشيخ الخطيب الشربيني المسمى بالسراج المنير (١/ ٣٣٩)، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري (٣/ ١٠٠، ١٠١).
(٤) تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي (٤/ ١٨٣).

سادسًا: إثارة الفتنة والبلبلة بين المؤمنين:

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

يقول العلامة ابن القيم[١] عند تفسيره لهذه الآية ذكر الله عز وجل الحكمة التي تتعلق بالمؤمنين في تثبيط هؤلاء لهم فقال: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ﴾.

وقد فسر الخبال: بالفساد والاضطراب فلو خرجوا مع المؤمنين لأفسدوا عليهم أمرهم، فأوقعوا بينهم الاضطراب والاختلال.

قال ابن عباس في تفسيره لهذه الآية ﴿ مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالاً ﴾ عجزًا وجبنًا يعني يجبنون عن لقاء العدو بتهويل أمرهم، وتعظيمهم في صدورهم ثم قال ﴿ وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ﴾ أسرعوا في الدخول بينكم للتفريق والإفساد، قال ابن عباس يريد أضعفوا شجاعتكم، وقيل: أوضعوا خلالكم بالنميمة وإفساد ذات البين[٢].

﴿ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ ﴾ يعني محدثين بأحاديثكم عيون غير منافقين[٣] أي وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم وقال ابن إسحاق وفيكم قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم، والمعنى على هذا القول: وفيكم أهل سمع وطاعة لهم لو جمعهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم[٤].

فالمنافقون خطر داهم على المؤمنين لأنهم يرتدون جلباب الإيمان زورًا فيتعذر

---

(١) العلامة ابن القيم هو: الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب ... أبو عبد الله بن قيم الجوزية الفقيه الأصولي، المفسر، النحوي، العارف، تفنن في علوم الإسلام، وكان عارفًا بالتفسير لا يجارى فيه، وأصول الدين وإليه فيهما المنتهى... له في كل فن من الفنون اليد الطولى وله تصانيف عديدة في أنواع العلوم، توفي سنة ٧٣١هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٩٣).

(٢) التفسير العظيم لابن القيم (ص٢٩٤) ط/ دار الكتب العلمية، حققه محمد خان الفقي.

(٣) تفسير مجاهد (١/ ٢٨١).

(٤) التفسير العظيم لابن القيم (ص٢٩٤).

التحرز منهم، ولذلك فهم يثيرون الفتن والقلاقل داخل المجتمع المسلم.

سابعًا: الخوف من المستقبل:

فالمنافقون أجبن من أن يخوضوا معامع الخطر قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ أي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم قالوا -يعني المنافقون- لكم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يعني في الواقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة، وقيل معناه: ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبًا من الغنيمة[1].

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾.

الاستحواذ: الاستيلاء على الشيء والتمكن من تسخيره أو التصرف فيه، أي وإن كان للكافرين نصيب من الظفر منوا عليهم لأنهم كانوا عونًا لهم على المؤمنين بتخذيلهم والتواني في الحرب معهم وإلقاء الكلام الذي تخور به عزائمهم عند قتالكم، فاعرفوا لنا هذا الفضل وهاتوا نصيبًا مما أصبتم[2].

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ يعني: الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى إنما منع السيف عن المنافقين في الدنيا لا لأجل كرامتهم بل أخر عذابهم إلى يوم القيامة.

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ قيل المراد يوم القيامة، وقيل في الدنيا

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٦١٢).

(٢) تفسير المراغي (٤/ ١٨٤، ١٨٥).

والمعنى أن حجة المؤمنين دائمًا غالبة على الكافرين في الدنيا(١).

ثامنًا: حب المال والبخل به والحرص عليه:

وهي من صفات المنافقين المتأصلة فالمال يملك قلوبهم يحرصون عليه ويغضبون إن حرموا منه قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[التوبة: ٥٨].

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي يتهمك(٢)، وقيل يلمزك أي يعيبك ويغتابك(٣).

﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ فإن أعطوا منها أي من الصدقات.

﴿ رَضُواْ ﴾ أي رضوا عنك في قسمتها، ﴿ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ أي وإن لم تعطهم عابوا عليك وسخطوا، قال أهل المعاني هذه الآية تدل على ركاكة أخلاق المنافقين ودناءة طباعهم لشدة شرههم إلى أخذ الصدقات في أنهم عابوا على النبي ﷺ قسمته فيها ونسبوه إلى الجور في القسمة مع أنه كان أبعد خلق الله عن الميل إلى الدنيا(٤).

ومن الآيات التي تدل على بخلهم بالمال وحرصهم عليه، قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[التوبة: ٦٧].

فمعنى ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ﴾ أي عن الإنفاق ويبخلون بمالهم عن الجهاد(٥).

---

(١) تفسير الخازن (١/ ٦١٢، ٦١٣) باختصار وتصرف.

(٢) تفسير مجاهد (ص٢٨٢).

(٣) تفسير القرآن للشيخ العز بن عبد السلام (٢/ ٢٧)، ط/ دار ابن حجر.

(٤) تفسير القرآن العظيم المسمى بالسراج المنير للشيخ الخطيب الشربيني (١/ ٦٢٣) باختصار وتصرف.

(٥) في رحاب التفسير للشيخ عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث (١٠/ ٨٧٥).

وبعد هذا العرض أقول: ما حكم توبة المنافق؟

إن فقهاء الإسلام على رأيين هما:

أولاً: رأي يرى أنه لا تقبل توبته واستدلوا لذلك بدليل عقلي وهو تعذر معرفة توبته من عدمها لأنه مظهر للإسلام مبطن للكفر(١).

والآخر: يرى أنه تقبل توبته إذا تاب وأناب إلى الله واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦] أي إلا الذين رجعوا عن النفاق وأصلحوا ما أفسدوه من أحوالهم ونياتهم وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأزالوا عنهم الشوائب من الرياء والسمعة والشك وتبرأوا من كل ما دون الله فأولئك مع زمرة المؤمنين وسيعطي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا(٢).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٦] أي لا تقدموا المبررات ولا تطلبوا الأعذار الباطلة وقد خرجتم من الإسلام بعد تصديقكم به إن يغفر لجماعة منكم بسبب توبتهم النصوح نعاقب جماعة أخرى بسبب جرائمهم وإصرارهم عليها فباب التوبة مفتوح لكم أيها المنافقون فمن تاب وأخلص غفر له ومن أصر وتمادى عذب(٣).

فتوبة المنافق مقبولة كأي توبة بشرط أن تحصل قبل حصول الموت وسكراته وقبل ظهور شيء من أمارات الساعة وأشراطها الكبرى.

---

(١) المغني لابن قدامة (٨/ ١٢٧)، ط/ الرياض.

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٣٠).

(٣) المنافقون في القرآن الأستاذ محمد يوسف (ص٢٥٥)، ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية.

فالمنافق لا يختلف عن بقية العصاة الآخرين[١].

وهكذا فالمنافقون كجبهة من جبهات العداء للرسول ﷺ في الحرب النفسية كانت من أخطر هذه الجبهات على الكيان المسلم كذلكم فإنهم أخطر شيء على كيان أي مجتمع لأنهم من داخل هذا المجتمع يتلونون بلونه ويتزيون بزيه، ولقد فضحهم القرآن الكريم وبين صفاتهم، وحديث أنفسهم، حتى يتوقى منهم المسلمون الصادقون في كل زمان ومكان.

(١) المنافقون في القرآن (ص٢٨) مرجع سابق.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثاني
أنواع الحرب النفسية

المطلب الأول: تقسيم الحرب النفسية على أساس الزمن إلى:

أولاً: حرب نفسية طويلة المدى.

ثانيًا: حرب نفسية قصيرة المدى.

ثالثًا: حرب نفسية تعزيزية.

المطلب الثاني: تقسيم الحرب النفسية على أساس قوتها إلى:

أولا: حرب نفسية دفاعية.

ثانيًا: حرب نفسية هجومية.

المطلب الثالث: تقسيم الحرب النفسية وفقًا للحالة التي توجه فيها:

أولاً: حرب نفسية وقت السلم.

ثانيًا: حرب نفسية وقت الحرب.

المطلب الرابع: تقسيم الحرب النفسية على أساس المضمون إلى:

أولاً: حرب نفسية فكرية أو حرب معتقدات.

ثانيًا: حرب نفسية إعلامية.

obeikandl.com

obeikandl.com

أنواع الحرب النفسية:

الحرب النفسية نوع من أنواع الحروب ولكنها أخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه لكي تحطم روحه المعنوية وتقضي على إرادة القتال فيه وتقوده بالتالي نحو الهزيمة وهي أيضًا من أخطر أنواع الحروب، لأنك تستطيع بواسطتها أن تحطم خصمك دون أن تدخل حربًا، وإذا دخلتها فبأقل الخسائر[١].

ومن هنا كانت خطورة سلاح الحرب النفسية الذي أصبح في العصر الحديث يحتل مكان الصدارة بين أسلحة الحروب والذي يؤمن العسكريون بأنه قد يكون أشد أثرًا من الأسلحة الأخرى في تحقيق هدف النصر بسرعة وبأقل الخسائر وهذا هو ما عبر عنه قول الرسول القائد عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين نهى حسان عن الشعر «**خل عنه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل**»[٢].

ولقد نوه القادة والزعماء المعاصرون بأهمية الحرب النفسية وأثرها في إدارة الصراع وفي نتائجه فمن ذلك قول القائد الألماني رومل: «إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم»، ويقول الجنرال ديجول: «لكي تنتصر دولة ما في حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها»، ويقول تشرشل: «كثيرًا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ»[٣].

وفيما يلي عرض لأنواع الحرب النفسية.

---

(١) دروس في العمل الإسلامي، للشيخ سعيد حوى (ص١٠٥)، ط/ دار السلام للطباعة وللنشر والتوزيع والترجمة.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي كتاب الاستئذان والأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر برقم (٣٠٠٥)، (٤/ ٢١٧) وقال عنه أنه حديث حسن غريب صحيح.

(٣) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، محمد جمال الدين محفوظ (ص١٤٦، ١٤٧) باختصار وتصرف، ط/ دار الاعتصام.

المطلب الأول: تقسيم الحرب النفسية على أساس الزمن إلى

أولاً: الحرب النفسية طويلة المدى:

هي الحرب التي لا تقتصر على زمان محدد أو مكان محدد بل قد يطول بها الزمن وتتغير عليها العصور[١].

وقد استخدم أعداء الإسلام هذا النوع من الحرب كثيرًا ومن ذلك مقاطعتهم لبني هاشم وبني عبد المطلب بهدف القضاء على الإسلام لما رأوه ينتشر بين الناس.

قال ابن إسحاق: لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدًا وأصابوا به أمنًا وقرارًا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر بن الخطاب[٢] قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب[٣] مع رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل الإسلام يفشو بين القبائل واجتمعوا وأمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيبًا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواعدوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة[٤].

واستمرت هذه المقاطعة ثلاث سنوات فهي حرب نفسية طويلة المدى.

---

(١) الحرب النفسية في العصر المدني (ص١٦٨، ١٦٩) باختصار وتصرف.

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي أبو حفص، أسلم في السنة السادسة من بعثته ﷺ وكان إسلامه فتحًا للإسلام والمسلمين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله وكان زاهدًا عالمًا متواضعًا، وهو الذي تولى الخلافة بعد أبي بكر ونزل نفسه منزلة الأجير للناس، حتى طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، سنة ٢٣هـ. انظر: أسد الغابة (٤/ ١٥٦، ١٩٢).

(٣) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القريشي الهاشمي عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة، أسلم في السنة الثانية من البعثة ولازم النبي ﷺ وهاجر معه، شهد بدرًا واستشهد يوم أحد سنة ٣هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٣٨)، ط/ دار الفكر العربي باختصار وتصرف.

ومن استخدام أعداء الإسلام لهذا النوع أيضًا تخطيط قريش لفض الحجاج عن السماع من رسول الله ﷺ بإشاعتهم عنه أنه ساحر وشاعر ومجنون(١).

كل ذلك طبعًا بهدف التقويض من حركة الدعوة الإسلامية إن لم يكن القضاء عليها تمامًا، فقد قال الله سبحانه ردًا عليهم: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢]، وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤]، وقال: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٩].

فلقد قالوا عن النبي الكريم الذي يعرفونه حق المعرفة ويعرفون رجاحة عقله وصدقه وأمانته وتثبته قالوا عنه: إنه لمجنون وأن شيطانًا يتنزل عليه بما يقول، قال بعضهم هذا كيدًا له ولدعوته.

والتعبير بصاحبهم يوحي إيحاءات عظيمة بأنه منهم، ومن جلدتهم ليس بغريب عليهم أو هم جاهلون لشمائله وطباعه بل هو بينهم معروف برجاحة العقل واتزان الفكر والصدق والأمانة فكيف يتسنى لهم أن يقولوا عنه مجنون(٢).

يقول الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ ﴾ معناها أن محمدًا كان من رهطهم وعشيرتهم وكان مساويًا لهم في الأسباب الدنيوية فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه وعجبوا أن يختص من بينهم برسالة الله وأن يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة وبالجملة فما كان لهذا التعجب سببًا إلا الحسد، ثم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ وإنما لم يقل وقالوا بل قال: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ إظهارًا للتعجب ودلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام.

---

(١) الحرب النفسية، د/ أحمد نوفل (٢/ ٣٢)، ط/ دار الفرقان، باختصار وتصرف وانظر الرحيق المختوم (ص٩٥).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٨٤٢) باختصار وتصرف.

فإن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو إلى طاعة الشيطان، وهو عندكم بالعكس من ذلك والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القدير الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الأشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف يكون كذابًا؟[١].

فدلائل كذبكم فيما ادعيتموه على رسول الله ﷺ واضحة يؤكد كذبها العقل والواقع.

وهكذا تتمثل الآيتين استخدام أعداء الإسلام للحرب النفسية طويلة المدى فإن هذه الدعايات التي ادعوها لم تستغرق وقتًا قصيرًا وتنفض وإنما استمرت مدة طويلة من الزمن.

ثانيًا: الحرب النفسية قصيرة المدى:

وهي الحرب النفسية التي توجه لتشكيلات العدو أثناء المعركة وداخل ميدان القتال بمعنى أنها تكون مساندة ومؤازرة للحرب العسكرية، وهذا النوع يستهدف إضعاف مقاومة العدو وعرقلة جهوده الحربية، كما تستهدف دعوة جنود العدو إلى اليأس والاستسلام من خلال أي عمل من شأنه أن يجبر العدو على أن يحول رجاله وأسلحته من الجبهة النشطة إلى غيرها، وجعله يقيد رجاله وعتاده استعدادًا لصد هجوم لن يأت حيث قد أوحى له به كحرب نفسية له ولرجاله بما يسمى بالخداع في علاقتنا مع العدو[٢].

فالحرب النفسية قصيرة المدى تحول مجرى القتال في ميدان القتال فلها الأثر القوي على تحويل خطة القتال للجيش المعادي وتحويل معنوياته، والقائد الموجه لهذا النوع من الحرب النفسية ليس أي قائد بل لا بد أن تتوفر فيه صفات خاصة من الذكاء والمهارة

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي (١٣/ ٢٨٢، ٢٨٣) باختصار وتصرف، ط/ مكتبة الإيمان.
(٢) الحرب النفسية، صلاح نصر (١/ ٩٤).

obeikandl.com

والعلم الجيد بظروف الجيش المعادي وما الذي يؤثر في معنوياته.

ومن أشكال الحرب النفسية قصيرة المدى: خفة الحركة وسرعة الأداء أثناء المعركة حتى تتحول دفة الجيش بسرعة إذ من شأن الخفة في الحركة أن تربك الجانب المعادي وتخلخل صفوفه وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ١-٥].

فخفة حركة الخيل وما تحدثه من إثارة التراب والتخلخل داخل الصفوف حربًا نفسية ميدانية أو قصيرة المدى لأنه تتم داخل حلبة القتال ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ أقسم بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو، و«الضبح» صوت أنفاسها إذا عدت ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ أي تورى النار بحوافرها، والقدح: هو الضرب لإخراج النار، ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ أي تغير على العدو في وقته.

يقال أغار على العدو إذا هجم عليه ليقتله أو يأسره أو يستلب ماله وهي تهجم على العدو وقت الصباح وهو وقت المفاجأة لأخذ العدو على غير أهبة ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ فحركن وهيجن ترابًا، وقيل: إنما ذكر إثارة الغبار للإشارة إلى شدة العد وكثرة الكر والفر.

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ أي فتوسطن ودخلن في وسط جمع من الأعداء ففرقناه وشتتناه[1].

فالآيات الكريمة تبين أن حركة الخير وصوتها وما ينتج عن حركتها تؤثر في صفوف العدو فتفرقه وتشتته ولا يكون ذلك إلا في ميدان القتال وهو ما يعبر عنه بالحرب النفسية الميدانية أو قصيرة المدى ونظرًا لأن حركة الخيل تؤثر في نفسيات المقاتلين وحركتهم أثرًا بالغًا فقد اهتم القرآن الكريم بها في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

(١) تفسير القاسمي (١٧/ ٦٢٣٧، ٦٢٣٨) باختصار وتصرف.

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولقد استخدم أعداء الإسلام هذا النوع من أنواع الحرب النفسية بهدف خلخلة الصف المسلم وزعزعته فمن ذلك:

ما أشاعه المشركون من إشاعة مقتل النبي ﷺ في غزوة أحد[(١)] مما كان له أكبر الأثر على نفوس المسلمين حتى وصل ذلك الأثر أن وضع بعضهم سلاحه[(٢)].

وهذا يؤكد لنا مدى الأثر الخطير الذي تؤثره الحرب النفسية فهي تفعل ما لا تفعله أية قوة عسكرية.

ومن ذلك ما حاوله المنافقون من زعزعة ثقة المسلمين في النصر في غزوة الأحزاب[(٣)] حيث يقولون ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ [الأحزاب: ١٣] فكانت هذه حربًا نفسية أثناء الحرب العسكرية كان الهدف منها إضعاف معنويات المسلمين وتشكيكهم في النصر وتوهين

---

(١) غزوة أحد: كانت في السنة الثالثة من الهجرة وكان عدد المشركين فيها ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم ثلاثمائة بعير ومئتا فرس وسبعمائة درع وكان قائدهم أبو سفيان بن حرب، وعدد جيش المسلمين ألف مقاتل معهم مائة درع وخمسون فرسًا، وانتهت بهزيمة المسلمين بعد انتصارهم أول الأمر وأحد اسم جبل. انظر الرحيق المختوم من (ص٢٩٠، ٢٣٣).

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٢).

(٣) غزوة الأحزاب: كانت في السنة الخامسة من الهجرة، تجمع فيها أعداء الإسلام على المدينة من يهود ومشركين ومنافقين، كان عدد جيش الأعداء حوالي عشرة آلاف مقاتل بتحريض من يهود بني النضير، ولكن حيلة سيدنا سلمان الفارسي بحفر الخندق حالت دون مرادهم، وكان قوام جيش المسلمين حوالي ثلاثة آلاف، حاصر المشركون فيها المدينة ولم يستطيعوا أن يقتحموا الخندق، وأرسل الله عليهم الريح والجنود فتفرقوا خائبين. انظر: المواهب اللدنية (١/ ٢٣٨).

عزائمهم وهكذا دائمًا يفعل المنافقون أصحاب العزائم الخائرة يكيدون ويمكرون ويراوغون ويحاولون أن يجعلوا لهم ستارًا يستترون خلفه حتى لا يظهرون في المواجهة.

ومن ذلك ما حاول اليهود من تشكيك المسلمين في النصر بعد غزوة بدر[١] قولهم: لا يغرنك يا محمد أنك لاقيت قومًا أغمارًا لا علم لهم بالحرب إنك إن لاقيتنا لتعلمن أننا نحن الناس[٢].

وهذه المقولة القصيرة العبارة الواسعة الدلائل تؤكد مدى الحقد الذي يكتمه هؤلاء الأعداء للإسلام ولرسول الإسلام وأتباعه فهم غاظهم النصر وحاولوا أن ينغصوا على المسلمين فرحتهم وأن يضعفوا معنوياتهم بعد نصرهم على الكفار مباشرة فنفثوا هذه الكلمات الخبيثة ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ولقد استخدم النبي ﷺ وأصحابه الكرام هذا النوع من أنواع الحرب النفسية، ومن ذلك أسلوب التورية في الغزو الذي كان يستخدمه النبي ﷺ في حروبه، يقول كعب بن مالك: «ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا ورى بغيرها»[٣] فلقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزو منطقة معينة ورّى باتجاه آخر حتى يأتي الناس على حين غرة فيهزهم ويضعف مقاومتهم ويقذف بهذه الوسيلة (المفاجأة) الرعب في قلوبهم فكانت هذه حربًا نفسية ميدانية أو قصيرة المدى إذ أنها تفعل قبل الغزو مباشرة أو بمدة قصيرة.

---

(١) غزوة بدر: كانت في السنة الثانية من الهجرة، وبدر اسم بئر حفرها رجل من بني غفار، وسبب الغزوة أن أبا سفيان جاء بقافلة من الشام وسمع بها النبي ﷺ فقال لأصحابه هذه عير قريش فاخرجوا لعل الله ينفلكموها، وكان عدد جيش المسلمين حوالي ثلاثمائة وبضعة عشر رجل وعدد جيش الأعداء حوالي ألف مقاتل، وقتل فيها عدد كبير من صناديد الكفر وكان النصر فيها للمسلمين. انظر الروض الأنف (٢/ ٦١، ٧١) باختصار وتصرف.

(٢) الرحيق المختوم (ص٢٧٩) باختصار وتصرف.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فورى بغيرها (٢/ ١٦٢).

وهذه الأمثلة تؤكد أن النظرية العسكرية النبوية كانت سابقة عصرها وهذا ما يؤكده الخبراء العسكريون في العصر الحديث.

ومن ذلك ما حصل في غزوة الخندق من الأخذ بمشورة سلمان الفارسي[١] ﷺ في حفر الخندق على المدينة في مواجهة الأعداء مما فاجأهم وأربك صفوفهم، حتى أنهم قالوا: «والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها» حيث كان الخندق أعظم خط دفاع عن المدينة فلقد استطاع النبي ﷺ بهذه المفاجأة أن يعزل قوات الأحزاب عن مكان التجمع الرئيسي للقوات المدافعة عن المدينة وأن يحول بينها وبين اقتحام المدينة من مداخلها لأن هذه المداخل أصبحت محروسة حراسة كافية وقوية بعد حفر الخندق[٢].

وهذا تخطيط فاجأ العدو وهز معنوياتهم حيث باءت محاولاتهم لغزو المدينة بالفشل وهذا المثال يؤكد استخدام النبي ﷺ لهذا النوع من الحرب النفسية كما يؤكد تأصيل مبدأ الشورى في سياسة النبي ﷺ وهو ما ينبغي أن يطبقه ولاة المسلمين في كل عصر ومصر.

ثالثًا: حرب نفسية مساندة أو تعزيزية:

وهي الحرب النفسية التي تستخدم لمساعدة وسائل أخرى يخشى موجهها أنها لا تؤتي الثمرات المرجوة، ومبدأ التعزيز مبدأ أصله الإسلام كما حدث ذلك مع المرسلين السابقين قال تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٤].

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ ﴾ لأن عيسى هو الذي أرسلهم بأمر الله سبحانه ويجوز أن

---

(١) سلمان الفارسي: هو أبو عبد الله يقال أنه مولى رسول الله ﷺ ويعرف بسلمان الخير، أصله من فارس من قرية يقال لها «جي» أول مشاهده الخندق وهو الذي أشار بحفره، وقيل أنه شهد بدرًا وأحدًا ولكنه كان رقيقًا، توفي في خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين وقيل ست وثلاثين. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٣٤، ٦٣٨) باختصار وتصرف.

(٢) المدرسة النبوية العسكرية، محمد عبد القادر أبو فارس (ص١٧٣).

يكون الله أرسلهم بعد رفع عيسى إلى السماء.

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ في الرسالة وقيل ضربوهما وسجنوهما.

﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قوينا وشددنا أو غلبنا وقهرنا وهذه قراءة التخفيف والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا[1] فلما كذبوا الرسولين ساندهما الله وقواهما برسول ثالث وذلك جعلهم أقدر على الغلبة والقهر وهذا ما يسمى بالتعزيز فهي نفس فكرة الحرب التعزيزية أو المساندة.

هذا وهناك معززات مهمة كانت وراء انتصارات المسلمين في حروبهم العسكرية فلم تكن الحرب العسكرية وحدها هي فاصلة القول وإنما لعبت هذه المعززات دورًا كبيرًا ومن أهل هذه المعززات ما يأتي:

أولاً المعززات الداخلية.

ثانيًا: المعززات الخارجية.

ومن المعززات الداخلية ما يأتي:

أ- الدعاء وحسن اللجوء إلى الله.

ب- الأمر بالصبر والمصابرة والتقوى.

ج- الثبات وحسن الاتباع ونبذ الخلاف.

أ- الدعاء وحسن اللجوء إلى الله:

الدعاء وحسن اللجوء إلى الله، فلقد كان الرسول ﷺ وصحابته يتضرعون إلى الله سبحانه يسألونه النصر والتأييد بكل إخلاص وضراعة وكان ذلك سببًا قويًا لتعزيز الله لهم وتأييده إياهم قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩].

سبب نزولها: ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٥٢، ٣٥٣).

إلى أصحابه وهم ثلاث مائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «**اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض أبدًا**» قال: فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعو حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه ثم ألزمه من ورائه ثم قال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فغنه سينجز لك ما وعدك، فنزلت الآية[1].

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ قيل تستنصرون وقيل معناها تستجيرون والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر والمستجير يطلب الخلاص، وفي المستغيثين قولان: أنه رسول الله ﷺ والمسلمون والثاني أنه رسول الله ﷺ[2].

فلما لجأوا إلى الله وأحسنوا التضرع إليه أردفهم بالملائكة وعززهم به فكان النصر المؤزر حيث كانوا في البداية ألف ثم كانوا ثلاثة آلاف ثم عززهم بخمسة آلاف.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣، ١٢٦] فببركة دعاءهم عززهم الله بالملائكة بألف ثم ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف ولقد بينت الآيات الكريمة أن في هذا التعزيز بشرى وطمأنينة للقلوب وهذا ما يؤكد أثر التعزيز في الحرب النفسية.

ب- الأمر بالصبر والمصابرة والتقوى:

ومن معززات الجهاد العسكري ومقوياته الأمر بالصبر والمصابرة والتقوى فهذه

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم (١٧٦٣) (٣/ ١٣٨٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٣٢٥).

الثلاثة مع الجهاد العسكري هي عوامل الفوز والفلاح قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ ﴾ على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد ﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب، ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة[١] فالأربع خصال يعزز بعضها بعضًا ويقوي بعضها بعضًا لإحراز النصر والفلاح فجيش قوي بلا صبر ولا مصابرة ولا تقوى لا قيمة له ولا وزن فلقد أوصى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص[٢] يقول له: «أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب فتقوى الله خير معزز ومعين»[٣].

ج- الثبات وحسن الاتباع ونبذ الخلاف:

ومن أهم المعززات الداخلية للحرب العسكرية هذه العوامل وهي الثبات وحسن اتباع القائد ونبذ الفرقة والخلاف بل الحفاظ على الصف المسلم صفًا واحدًا متماسكًا.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ١٩٨) باختصار وتصرف.

(٢) سعد بن أبي وقاص هو سعد بن مالك بن أهيب بن زهرة بن كلاب القريشي، سابع من اعتنق الإسلام وأول من رمى بسهم في سبيل الله فتح القادسية، وشهد الكثير من معارك الإسلام، خال رسول الله ﷺ، توفي سنة خمس وخمسين وقيل ثماني وخمسين عن بضع وسبعين سنة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٠٦، ٦١٠) باختصار وتصرف.

(٣) الحرب النفسية من منظور إسلامي (٢/ ١٣٦) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

يقول الشيخ رشيد رضا[١]: «هذا هو النداء السادس للمؤمنين في هذه السورة وهو في إرشادهم إلى القوة المعنوية للمقاتلين التي هي السبب الغالب للنصر والظفر»[٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً ﴾ أي جماعة كافرة، ﴿ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ لقتالهم، ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي ادعوا الله للنصر والظفر بهم، ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ أي كونوا على رجاء الفلاح، ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ﴾ لا تختلفوا، ﴿ فَتَفۡشَلُواْ ﴾ أي تجبنوا وتضعفوا، ﴿ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ قال مجاهد: نصرتكم، وقال السدي: جراءتكم وجدتكم، وقال النضر بن شميل: قوتكم، وقال الأخفش: دولتكم[٣].

فهذه هي عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر والطاعة لله وللرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، ولقد استقر هذا التعليم في نفوس العصابة المسلمة فكان هذا شأنها حيثما واجهها عدوًا فكانت من الصابرين ولقد وعد الله الصابرين بمعيته وهذه المعية من الله هي الضمان للصابرين بالفوز والغلبة والفلاح[٤].

ثانيًا: المعززات الخارجية:

ومنها: أ- التعزيز بالريح والجنود.

ب- التعزيز بالنعاس والمطر.

وتتمثل فيما منحه الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين من أمور تسببت في نصرهم إن

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، ولد في القلمون من أعمال طرابلس الشام، سنة ١٢٨٢هـ، وانتقل إلى مصر ولازم الإمام محمد عبده وتتلمذ عليه، ومن أشهر آثاره مجلة المنار وتفسير المنار، وغيره، توفي بمصر سنة ١٣٥٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٦).

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٠/ ١٩).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٥٣).

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣/ ١٥٢٨، ١٥٢٩) باختصار وتصرف.

هم أحسنوا التعامل بالمعززات الداخلية مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧].

والمعززات التي منحها الله لعباده منها:

أ- التعزيز بالريح والجنود:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾ والمراد بهم: جنود الأحزاب الذين تحزبوا بالغزوة المسماة غزوة الخندق.

﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا ﴾ هي الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى ألقت قدورهم ونزعت فساطيطهم ويدل على هذا ما ثبت عنه ﷺ من قوله: «**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**»(١).

﴿ وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ ﴾ فقلعت الأوتاد وأطفأت النيران وأكفأت القدور ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ أي بما تعملون أيها المسلمون من ترتيب الحرب وحفر الخندق واستنصاركم به وتوكلكم عليه(٢).

أي أنهم أحسنوا اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بحسن التوكل عليه وطلب النصر منه ثم إنهم استفرغوا الجهد لديهم من الإعداد للحرب وحفر الخندق وهذا كله ما يسمى بالمعززات الداخلية فلما أحسنوا استغلالها جاءهم التعزيز من عند الله سبحانه.

ب- التعزيز بالنعاس والمطر:

قال تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم

---

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا (٢/ ٤١)، وأخرجه مسلم في الاستسقاء، باب في ريح الصبا رقم (٤٥٠) (ص١٢٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٥٧) باختصار.

بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

يقول العلامة القرطبي في تفسيره لهذه الآية ﴿ ٱلنُّعَاسَ ﴾ حالة الأمن الذي لا يخاف وكان هذا في الليلة التي كان القتال من غدها فكان النوم عجيبًا مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم ولكن الله ربط جأشهم.

وفي الامتنان عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: أن قواهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم.

وقيل غشاهم في حال التقاء الصفين كما كان في غزوة أحد[1] وهو ما حكاه القرآن في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ من الحدث والجنابة، ﴿ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ يعني الجنابة لأنها من تخييله أو وسوسته إياهم من العطش، روى أنهم نزلوا في كثيب أعثر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال: كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكون رسوله فأشفقوا، فأنزل الله المطر فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٥/ ٢٨٠٨) باختصار.

واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة.

﴿ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم، ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة[1].

فلما أحسن المسلمون استخدام المعززات الداخلية بحسن اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بها عززهم بمعززات منحهم إياها من الريح والملائكة والمطر والنعاس فهي جنود الله يبعثها للمخلصين من عباده ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٣١].

وهكذا فالحرب النفسية التعزيزية لها من الأثر الهام والخطير في تغيير دفة الحرب العسكرية وتبديل مجرياتها.

ولقد استخدم أعداء الإسلام الحرب النفسية التعزيزية في مواقف كثيرة فما من حرب عسكرية إلا وعززتها حرب نفسية على مختلف وسائلها فكثيرًا ما استخدموا وسائل الإشاعة والاستهزاء والتشكيك في النصر أثناء الحروب وبعدها فكانت هذه الأساليب من شأنها أن تعزز موقف الحرب العسكرية وتؤزر من أثرها، ولكن الله سبحانه لم يترك المسلمين أمام هذه الحروب ومعززاتها بمفردهم بل أرشدهم إلى معززات لحروبهم مع أعدائهم من شأنها ألا تجعل لهؤلاء الأعداء عند المؤمنين أي وزن.

ومن مواقف المشركين واستخدامهم للتعزيز ما عمله أبو سفيان قبل معركة بدر الكبرى وهو أنه لما بلغ أبا سفيان بن حرب[2] مخرج الرسول ﷺ وقصده إياه أرسل إلى

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٣٧٧).

(٢) هو أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية الأموي القريشي والد معاوية ولد قبل عام الفيل بعشر سنين وكان من أشراف قريش في الجاهلية، وكان تاجرًا ذا مال كثير أسلم يوم الفتح وشهد مع الرسول ﷺ حنينًا وشهد معركة اليرموك مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٧٧، ١٦٨٠) طبعة دار الجيل، بيروت.

obeikandi.com

مكة مستصرخًا لقريش ليمنعوه من المؤمنين ويعززوا موقفه ولما بلغ الصريخ أهل مكة نهضوا مسرعين ولم يتخلف من أشرافهم[١] أحد فهذا موقف تعزيزي لموقف أبو سفيان وحملته[٢].

(١) قيل لم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين. انظر: الرحيق المختوم (ص٢٤١).

(٢) الرحيق المختوم (ص٢٤١) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

المطلب الثاني: تقسيم الحرب النفسية على أساس قوتها إلى

أولاً: حرب نفسية دفاعية. **ثانيًا: حرب نفسية هجومية.**

أولاً: الحرب النفسية الدفاعية:

الحرب النفسية الدفاعية هي ما تقوم به الجبهة المتصدية للحرب النفسية التي تشن عليها من أعدائها محاولة تعطيلها أو الحد من آثارها على جبهتها الداخلية بوسائل مختلفة.

ويجب أن تقوم الحرب النفسية الدفاعية على أسلوب فني صحيح حتى تنجح في مواجهة علميات العدو التي تهدف إلى محاولة التفرقة وتزييف الأمور بقصد بث الانهزامية وإضعاف المعنويات(١).

فتوجه الحرب النفسية جهودها وعملياتها ضد الأعداء وضد جنودهم لتحطيم معنوياتهم مستهدفين في ذلك عقل جند العدو للاستسلام وعدم القيام بأي عمل لصالح الجانب الذي يقاتل له أو أن يقاتل قتالاً سيئًا هذا بالإضافة إلى تهييج جماعات العدو ضد بعضها البعض مع تثبيط معنوياتهم وإخماد همة وعزم جنودهم وقادتهم(٢).

كذلك فالحرب النفسية الدفاعية تهدف إلى تثبيط محاولات العدو الموجهة إلى الجبهة المستخدمة للحرب النفسية الدفاعية حتى لا تؤثر هذه المحاولات في معنويات الجنود أو أن تنال منها.

ولا بد في الحرب النفسية من أن يراعى الموجه لها نقاط الضعف في الطرف المقابل فيركز عليها في حربه الدفاعية حتى يكون لحربه أثر.

ولما كانت الحرب النفسية الموجهة إلى الإسلام والمسلمين من أعدائهم حربًا ضروسًا فكان لا بد للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ودينهم بل كان الله سبحانه هو الذي يتولى الدفاع عنهم ليطمأنهم ويخوف أعداءهم الذين يعلمون صدق الله عز وجل وصدق نبيه

---

(١) الحرب النفسية في صدر الإسلام (ص١٩٠) مرجع سابق.
(٢) الحرب النفسية، صلاح نصر (١/ ٢٤٥) باختصار وتصرف.

ﷺ حتى وإن أنكروا ذلك ظاهرًا أو تغطرسوا عن الاعتراف به، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨].

يقول العلامة ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: والمقام خليق بأن يطمأن الله نفوس المؤمنين بأنه كما أعد لهم نعيم الآخرة هو أيضًا يدافع عنهم في الدنيا وناصرهم.

وقرأ الجمهور ﴿ يُدَٰفِعُ ﴾ بألف بعد الدال فيفيد قوة الدفع، وجملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ تعليل لتفنيد الدفاع بكونه عن الذين آمنوا بأن الله لا يحب كل الكافرين الخائنين فلذلك يدفع عن المؤمنين لرد أذى الكافرين[١].

والآية عامة لرد أي أذى يتعرض له المؤمنون وللدفاع عنهم في كل حين وللتصدي لأعدائهم على مر السنين.

ومن استخدام القرآن الكريم لوسيلة الحرب النفسية الدفاعية أنه كان يدفع ويرد كل وسيلة يستخدمها أعداء الإسلام ضد الرسول أو المسلمين، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ تبين استخدامهم لوسيلة الاستهزاء كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد المؤمنين، ثم جاء رد القرآن ودفعه عن المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾.

يقول العلامة البيضاوي في تفسيره ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ إنما استأنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم[٢].

كذلك فلقد استخدم أعداء الإسلام وسيلة الإشاعة ضد شخص الرسول ﷺ وضد

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور الجزء السابع عشر (٨/ ٢٧١، ٢٧٢).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٢٩).

القرآن وضد آل بيت النبي وكان الله سبحانه وتعالى وهو الذي يدفع عن كتابه ونبيه وآل بيت نبيه ومن أمثلة ذلك أن أعداء الإسلام كانوا يقولون على رسول الله أنه أبتر فرد الله عليهم ودفع محاولتهم في التشكيك في شخص النبي ﷺ والتهوين من شأنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

ولقد ذكر الإمام الواحدي أن سبب نزول هذه السورة قال: كان العاص بن وائل يمر بمحمد ﷺ ويقول: إني لأشنؤك وإنك لأبتر من الرجال فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ من خير الدنيا والآخرة[(١)].

فالسورة الكريمة فيها الرد على هؤلاء الطغاة وما قالوه عن النبي ﷺ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ أي إن مبغضك يا محمد وعدوك هو الأبتر أي الأقل الأذل المنقطع دابره الذي لا عقب له[(٢)].

وهكذا يدفع الله سبحانه عن نبيه ويرد كيد أعدائه في نحورهم، والأمثلة غير ذلك كثيرة سأذكرها إن شاء الله في رد القرآن على وسائل أعداء الإسلام في الحرب النفسية.

هذا ولقد كانت الحروب التي خاضها النبي ﷺ حروبًا نفسية دفاعية لمواجهة ما لحق بالمسلمين من أعدائهم من إيذاء نفسي وإخراج من الأرض والمال والوطن كما كانت دفاعًا عن العقيدة التي هي أسمى ما لدى الإنسان وكذلك كانت دفاعًا عن الوطن الذي كان يحاول أعداء الإسلام الهجوم عليه.

وكذلك استخدام النبي ﷺ وسيلة الدفاع تجاه الأعداء حينما أشاعوا مقتله ﷺ في أحد فوقف يرد ويدافع ويقول إلي يا فلان إلي يا فلان أنا رسول الله...[(٣)]، وبهذا دفع

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص٤٠٤).

(٢) معالم التنزيل للقاسمي (١٧/ ٦٢٧٧).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٢) باختصار وتصرف، الحرب النفسية، لجمال الدين محفوظ (ص٦٥)، الحرب النفسية في العصر المدني (ص١٩٦).

إشاعتهم وجعلها لا أثر لها.

ويدل على استخدام الصحابة للحرب النفسية الدفاعية ما قدم به نعيم بن مسعود ﷺ في غزوة الأحزاب[1] من تفريق لشمل الأحزاب وتفتيت لوحدتهم حيث كان موقفه هذا دفاعًا في مواجهة ما فعلوه من التحزب ضد المسلمين والتجمع عليهم من كل جانب، ولقد استغل في دفاعه نقاط الضعف في الجبهات المعادية لأنه ﷺ على علم جيد بظروفهم وما يؤثر فيهم.

وهكذا كان استخدام الحرب النفسية الدفاعية من قبل القرآن والرسول ﷺ والصحابة مشعرًا بأهميتها وضرورة أن تجيدها الأجيال المعاصرة لضراوة ما يواجهونه من حرب نفسية وعسكرية.

ثانيًا: الحرب النفسية الهجومية:

وهي المبادأة والمفاجأة بوابل من وسائل الحرب النفسية من شأنه أن يربك العدو ويفتت صفوفه ويضع فكرة الاستسلام فكرة ملحة أمام عينيه، وقد تستخدم الحرب النفسية الهجومية حربًا عسكرية كعامل مؤثر على النفوس وإرهابها والضغط المعنوي عليها.

ولقد استخدم أعداء الإسلام الحرب النفسية الهجومية فهم دائمًا كانوا البادئين بالحرب النفسية ضد المسلمين ثم يكون بعد ذلك الرد أو الدفاع الإسلامي على هذه الهجمات، فهم الذين أشاعوا على النبي ﷺ أنه شاعر ومجنون فكان الرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٩] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢]، وهم الذين استخدموا وسيلة الإغراء مع المؤمنين بقولهم لهم ما حكاه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ فكان رد القرآن: ﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٥) باختصار وتصرف.

خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢].

ففي الصدر الأول من بعثة النبي ﷺ كان أعداء الإسلام هم المهاجمون دائمًا والمسلمون مدافعون أما بعد استقرار دولة الإسلام أصبح الرسول ﷺ وصحابته يستخدمون الحرب النفسية الهجومية عند الحاجة ولكن لا بغرض الاعتداء وإنما الأخذ بأيدي الناس إلى طريق الله المستقيم واتباعهم للشرع القويم وتثبيت دعائم دولة تقوم على عقيدة ثابتة راسخة.

فلقد كان الجهاد في هذه الفترة لأجل العقيدة وحمايتها من الحصار وحمايتها من الفتنة وحماية منهجها وشريعتها في الحياة وإقرار رايتها في الأرض بحيث يرهبها من يهم بالاعتداء عليها قبل الاعتداء وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها لا يخشى قوة أخرى في الأرض تتعرض له أو تمنعه أو تفتنه[1].

وذلك عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

فالآية تحل المبادأة بقتال أعداء الإسلام حتى ينتهوا عن شركهم ويدينون دين الحق وهو دين الإسلام.

يقول العلامة القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾ أمر بقتال كل مشرك في كل موضع، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي كفر فجعل الغاية عدم الكفر وهذا ظاهر، وقيل: الفتنة هنا الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي عن الكفر إما بالإسلام أو بأداء الجزية[2] واتبعًا لهذه الآية واتباعًا لسنة النبي ﷺ في غزواته الأخيرة فتح مكة وما بعدها كانت الفتوحات الإسلامية في عهد الصحابة والتابعين والتي لم تكن حروبًا عسكرية فحسب بل عانقتها حروبًا نفسية

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/ ١٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٢/ ٧٢٨) باختصار وتصرف.

آزرتها وعضدتها بل وأغنت عنها في بعض الأحيان.

فالحرب النفسية في فتح مكة[١] مثلاً أغنت عن الحرب العسكرية فلم تقاوم جيوش مكة المسلمين مقاومة تذكر، حيث كان للحرب النفسية دور كبير في إرهاب القوم وسلب رغبتهم القتالية حيث أمر الرسول عمه العباس أن يعرض الجيش الإسلامي على أبي سفيان حتى يرهبه ويجعله يرهب من خلفه من أهل مكة وبالفعل عندما رأى أبو سفيان قوة جيش المسلمين ذهب إلى قومه وصرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد[٢].

ومن الحرب النفسية في فتح مكة أيضًا أن أمر الرسول ﷺ أصحابه بإشعال النيران فأشعلت عشرة آلاف شعلة مما كان له أكبر الأثر في نفوس أهل مكة مما أفزعهم وأسقط في أيديهم[٣].

وكذا فقد أغنت الحرب النفسية بشتى وسائلها عن الحرب العسكرية كما أنها عكست الخبرة العميقة لرسول الله ﷺ بالقوم وما يرهبهم وما يسقط في أيديهم فآتت الحرب النفسية ثمارها وأنتجت فتحًا عظيمًا من الفتوحات الإسلامية.

ومن استخدام الصحابة للحرب النفسية الهجومية وصاحبها بعض الأعمال القتالية ما فعله الصحابي الجليل أبو بصير وتتلخص في:

---

(١) فتح مكة كان في رمضان سنة ثمانية من الهجرة وكان قوام جيش المسلمين عشرة آلاف، وأحاطتها السرية الكاملة، ودخل الرسول ﷺ مكة من أعلاها وأمر ﷺ خالد بدخولها من أسفلها ولم يحدث فيها قتال يذكر إلا مناوشات طفيفة لجيش خالد، وأمن فيها الرسول ﷺ أهل مكة على أنفسهم وعفا عنهم رغم ما أذاقوه ﷺ من إيذاء. انظر: زاد المعاد (٢/ ٢٢٩، ٢٣٩) باختصار وتصرف.

(٢) السير النبوية لابن هشام (٤/ ١٢) باختصار وتصرف.

(٣) الرحيق المختوم للمباركفوري (ص٤٧٥) باختصار وتصرف.

أنه بعد صلح الحديبية كان من ضمن بنود الصلح أن من ذهب إلى النبي ﷺ من أهل مكة رجعه النبي ﷺ مرة ثانية فذهب أبو بصير[١] بعد صلح الحديبية إلى النبي ﷺ في المدينة فبعثت قريش في أثره رجلين يريدان إرجاعه إلى مكة فرجعه النبي ﷺ إلى مكة معهما عملاً بنص بنود المعاهدة وفي الطريق انقض أبو بصير على رجل منهم فقتله وهرب الثاني وذهب أبو بصير إلى النبي ﷺ فعندما رآه قال ﷺ ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال فخرج أبو بصير حتى أتى العيص فنزل من ناحيته على ساحل البحر على طريق عير قريش إلى الشام والتحق به سبعون رجلاً من المسلمين الذين كانوا في مكة ممن علموا بمكانه وخروجه فاجتمعوا وأمروه عليهم وقطعوا الطريق على أهل مكة وضيقوا على قريش فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ولا تمر عير إلا اقتطعوها ومر بهم ركب يريد الشام معهم ثمانون بعيرًا فأخذوا ذلك وأصاب كل رجل منهم قيمة ثلاثين دينارًا فغاظ كفار قريش صنيع أبي بصير وشق عليهم وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم ألا أدخل أبا بصير ومن معه فلا حاجة لنا بهم[٢].

وهذا الموقف لهذا الصحابي الجليل يوحي بكثير من الاستفادات:

أولاً: أنه قد يصلح بالفرد ما لا يصلح بالجماعة.

ثانيًا: أن الكفار وما يتصفون به من صلف وعناد لا يقهرهم إلا القوة.

ولعل مراسلات النبي ﷺ للأمراء والملوك كانت من قبيل الحرب النفسية الهجومية التي استهدفت كشف مواقف الأمراء والملوك الذي راسلهم النبي ﷺ فمنهم من تأثر

---

(١) أبو بصير: اختلف في اسمه ونسبه فقيل عبيد الله بن أسيد بن جارية، وقيل اسمه عتبة بن أسيد بن جارية، قيل هو من قريش وقيل من ثقيف، أتى النبي ﷺ مسلمًا بعد صلح الحديبية، وقد طلبته قريش فسلمه الرسول ﷺ وهرب منهم وكون جماعة على ساحل البحر فاعترضوا عير قريش واستولوا عليها حتى استغاثت قريش فكتب له الرسول ﷺ أن يأتي المدينة ومن معه ولكن الكتاب وصله وهو يموت. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٦١٢، ١٦١٤).

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ٤٠، ٤١) باختصار وتصرف.

بأسلوبه ﷺ تأثرًا إيجابيًا فاعتنق الإسلام ومنهم من اتخذ موقفًا محايدًا من النبي ﷺ ودعوته وأظهر الود بإرسال الهدايا ومنهم من كشفت هذه المحاولة عما يحيق في صدره من بغض وعداوة للإسلام والمسلمين فرد ردًا سيئًا.

فمثال من راسله النبي ﷺ فاعتنق الإسلام النجاشي ملك الحبشة.

ومثال من أظهر موقفًا محايدًا وأرسل الهدايا للنبي ﷺ المقوقس ملك مصر وقيصر الروم.

ومثال من اتخذ موقفًا عدائيًا كسرى ملك فارس[1].

وهذه المراسلات من النبي ﷺ في أسلوبها تكشف دعوة النبي ﷺ هؤلاء الملوك إلى الإسلام بأسلوب حسن لطيف ثم هي تضمنت أسلوب الترغيب لهؤلاء ومن تبعهم إن هم اتبعوا دين الله كما تضمنت أسلوب الترهيب إن هم أعرضوا عن اتباعه.

وهذه المراسلات درس جليل يدل على شمول دعوته ﷺ لجميع الخلق فهي لا تقف عند حدود دولة ولا تنحصر في أرجاء لغة بل هي عمت جميع البشر في كل زمان ومكان مهما اختلفت لغاتهم أو لهجاتهم ثم هي درس للقادة في كل زمان ومكان إذ يتكشف أمر مواجهيه قبل أن يوجه إليهم سلوكًا إيجابيًا أو سلبيًا تجاههم.

ثم إنها درس عظيم لمخاطبة القوم بما يقع في نفوسهم وهذا يتطلب ثقافة واسعة من الداعية لأفكار مخاطبيه واتجاهاتهم.

---

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٨٨، ٩٣) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

المطلب الثالث: تقسيم الحرب النفسية وفقًا للحالة التي توجه فيها

أولاً: حرب نفسية وقت السلم.

ثانيًا: حرب نفسية وقت الحرب.

أولاً: الحرب النفسية وقت السلم:

وهي التي توجه في زمن اللاحرب بهدف استمالة الأعداء وتغيير أفكارهم وإقناعهم بفكرة ما تخدم الفريق الموجه لها.

أو هي بمثابة غزو فكري بمعناه ومضمونه غايتها التعديل الفكري ببث مفاهيم مغايرة لما عند الخصم واعتناقهم مفاهيم مرغوبة من مصدر تلك الحرب النفسية وتعمل على استغلال اتجاهات الخوف من الحرب بالتهديد والوعيد وهي فرصة لكسب الأنصار ومعرفة التيارات الأساسية في مجتمع الخصم والعمل على اجتذاب قادتهم وعامتهم من خلال التأثير المستمر والدعوات والنداءات المتتالية والإغراءات الأخاذة والعمل على دراسة العدو والاستعداد لليوم الذي تظهر فيه الحاجة إلى تقديم حرب نفسية أكثر، كما تعمل الحرب النفسية في زمن السلم لتخليص الشعوب المظلومة من قادتها الظالمين بشتى الوسائل والمحاولات الجادة.

وهي تعمل أيضًا على إلزام العدو بأمور تفوق إمكانياته وبث الدعايات إلى الدول الصديقة والدول المحايدة والعمل على كسبها والعمل على بث الدعاية إلى شعوب الدول المناصرة للأعداء[1].

ويطلق عليها الحرب السياسية كما أنه يمكن تعريفها بأنها شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب فيها أن يفرض إرادته على خصومه بطرق غير طريقة القوات المسلحة، ومن الناحية العملية يمكن أن نقول: إن السلاح الرئيسي للحرب

---

(١) الحرب النفسية في العصر المدني (ص٢٠٠) مرجع سابق.

السياسية هو عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية[١].

فالحرب النفسية في السلم حرب أفكار ومعتقدات في زمن غير أزمنة الحرب العسكرية تهدف إلى تغيير ميول العدو واتجاهاته وإقناعه بأفكار معينة ومحاولة حمله لاعتناق هذه الأفكار.

وقد استخدم الرسول ﷺ الحرب النفسية زمن السلم منذ مبعثه إلى هجرته إلى المدينة حيث كانت حياته ﷺ في مكة عبارة عن دعوة الناس إلى عبادة الله وحده دون جهاد فقضى عليه السلام ثلاث عشرة سنة في مكة وسنة في المدينة قبل فرض الجهاد يدعو الناس بالسلم دون المجاهدة[٢].

وكانت سياسة الإسلام السلمية مبنية على مبادئ منها:

أ- مبدأ الإنذار.

ب- دعوة الناس بالحسنى.

ج- أمر الإسلام أتباعه بالمسالمة إن اتبع أعداؤه المسالمة.

أ- مبدأ الإنذار:

يعني دعوة الناس إلى الإسلام بإنذارهم بالويل والعذاب إن هم خالفوا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ١-٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أي يا أيها الذي قد تدثر بثيابه أي تغشى بها وأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما والدثار هو ما يلبس فوق الشعار والشعار هو الذي يلي الجسد وقال عكرمة المعنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ بالنبوة وأثقالها[٣].

---

(١) الحرب النفسية لصلاح نصر (١/ ٩٦).

(٢) الحرب النفسية في العصر المدني (ص٢٠١) نقلاً عن جيش الرسول ﷺ، محمود شيت خطاب، دار قتيبة، دمشق (ص١١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٢١).

﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ معنى قم أي قم من مضجعك وقيل قم قيام عزم وتصميم، قوله: ﴿ فَأَنذِرۡ﴾ أي حذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، قال ابن عباس: قم نذيرًا للبشر[١] والمعنى انهض فخوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا[٢].

وابتدأ الأمر بالإنذار لأن الإنذار يجمع معاني التحذير من فعل شيء لا يليق وعواقبه، فالإنذار حقيق بالتقديم قبل الأمر بمحامد الفعال لأن التخلية مقدمة على التحلية ودرأ المفاسد مقدم على جلب المصالح ولأن غالب أحوال الناس يومئذ محتاج إلى الإنذار والتحذير[٣].

فالآية الكريمة كانت من أوائل ما وجه للنبي ﷺ في الأمر بالدعوة وهي الخطوة الأولى التي يبدأ بها في مواجهة هذا المجتمع الذي ظل في غياهب الظلمات أحقابًا بعد أحقاب فكان لا بد وأن ينذرهم فيزلزل بإنذاره نفوسهم حتى تستيقظ ضمائرهم التي باتت السنين الطوال خامدة لا تتحرك.

ولقد سارع النبي ﷺ بتنفيذ أمر الله سبحانه له ﷺ بإنذار الناس ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ خرج النبي ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «**يا صباحاه**» فاجتمعوا إليه فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[٤].

والموقف يؤكد سرعة استجابة الرسول ﷺ لأوامر الله عز وجل كما يؤكد استخدامه ﷺ لمبدأ الإنذار.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٥/ ٨٢٤).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٢١).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الجزء التاسع والعشرون (١٤/ ٢٩٥).
(٤) أخرجه الإمام البخاري بالتفسير (٦/ ٢٢١).

ب- دعوة الناس بالحسنى:

والمبدأ الثاني في دعوة الإسلام السلمية هو دعوة الناس إلى الإسلام بالحسنى:

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالأصل في الدعوة الرفق واللين وإظهار الحق بالدلائل والبراهين فيهدي الله سبحانه لذلك من يشاء هداه ويفرغ حجة من تمسك بضلاله يقول العلامة القاسمي: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ أي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة.

﴿ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ أي بالعبر اللطيفة والوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالى.

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ أي جادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وحسن الخطاب من غير عنف فإن ذلك أبلغ في تسكين لهبهم وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ أي عليك بالبلاغ والدعوة بالصفة المبينة فلا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فإنه ليس عليك هداهم، لأنه هو أعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي إليه فما شرعه لك في الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة فإنه كافٍ في هداية المهتدين وإزالة عذر الضالين[1].

والآية الكريمة درس عميق إلى كل داعية إلى الله في كل زمان ومكان فإنما هو كالتنطس المداوي يلتمس أمراض الناس فيعالجها برفق ولين ويتفنن في ألوان الدواء وأنواع العلاج ولا يتعجل ببرء السقام فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

يقول أ/ سيد قطب معلقًا على هذه الآية: على هذه الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ويعين وسائلها وطرائقها ويرسم المنهج للرسول الكريم وللدعاة من بعده ولدينه القويم، إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله لا لشخص الداعي ولا

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٠/ ٣٨٧٧).

لقومه فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله لا فضل له يتحدث به لا على الدعوة ولا على من يهتدون به وأجره بعد ذلك على الله.

والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها والطريقة التي يخاطبهم بها والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف، وبالجدل بالتي هي أحسن فلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح[1].

ج- أمر الإسلام أتباعه بالمسالمة إن اتبع أعداؤه المسالمة:

فالمسالمة هي الأساس ولا يلجأ الإسلام إلى دعوة أتباعه إلى الحرب إلا إذا فشلت الطرق السليمة، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

الجنوح: الميل يقال جنح الرجل إلى الرجل: مال إليه.

والسلم: الصلح والسلم تؤنث كما تؤنث الحرب أو هي مؤولة بالخصلة أو الفعلة وقد اختلف أهل العلم هل الآية منسوخة أم محكمة؟ فقيل هي منسوخة بقوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ٥]، وقيل ليست بمنسوخة لأن المراد بها قبول الجزية وقد قبلها منهم الصحابة فمن بعدهم، فتكون خاصة بأهل الكتاب، وقيل إن المشركين إن دعوا إلى الصلح جاز أن يجابوا إليه وتمسك المانعون من مصالحة المشركين بقوله ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ [محمد: ٣٥] وقيدوا عدم الجواز بما إذا كان المسلمون

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٠٢) باختصار وتصرف.

في عسرة وقوة لا إذا لم يكونوا كذلك، فهو جائز كما وقع منه ﷺ من مهادنة قريش وما زالت الخلفاء والصحابة على ذلك.

والذي تميل إليه النفس أن الآية محكمة وليست منسوخة لقوة أدلة القائلين بإحكامها، ولأن إعمال الآية ولو من وجه أولى من إهمالها.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ في جنوحك للسلم ولا تخف من مكرهم فـ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ سبحانه ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١].

ومشاهد السيرة النبوية العطرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم تشهد أن السلم كان الأساس في الدعوة الإسلامية فلم يلجأ ﷺ إلى الحرب إلا إذا اضطره أعداء الإسلام إليه ثم إنه قد يخرج إلى الحرب ثم يعود بغير قتال.

ومن الغزوات التي خرج لها الرسول وعاد بغير قتال غزوة بدر الآخرة[٢] وغزوة دومة الجندل[٣] وغزوة تبوك[٤].

وهكذا كانت الدعوة إلى الله حربًا نفسية وقت السلم لأنها تهدف إلى القضاء على معتقداتهم ونشر تعاليم الإسلام بينهم وهذا هو هدف الجهاد في سبيل الله، وكما استخدم

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٠٢) وغزوة بدر الآخرة كانت على إثر موعد ضربه الرسول ﷺ لأبي سفيان بعد أحد بعام وكانت في شعبان سنة أربعة هجرية وكان المسلمون ألف وخمسمائة وكان اللواء لعلي بن أبي طالب وكان المشركون ألفين وأقام الرسول ﷺ ثمانية أيام ببدر ينتظر ثم رجع إلى المدينة وقد رجعت هيبة المسلمين لهم بعد هزيمة أحد. انظر: الرحيق المختوم (ص٢٥١، ٢٥٢).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٠٥) دومة الجندل هي اسم مكان قريب من الشام جاءت الأخبار للرسول ﷺ بأن القبائل حوله تقطع الطريق وتعد العدة لغزو المدينة فخرج ﷺ في ألف من المسلمين في ربيع الأول سنة خمسة هجرية فتفرق أهل دومة الجندل فلم يصب الرسول ﷺ منهم شيء فأقام بها أيامًا ثم رجع إلى المدينة. انظر المواهب اللدنية (١/ ٢٣٤).

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٨٣).

obeikandl.com

المسلمون الحرب النفسية زمن السلم في مواجهة أعدائهم فقد استخدمها أعداء الإسلام ضد المسلمين.

ومن استخدامات اليهود لها أنهم كانوا يحرجون النبي ﷺ بالأسئلة التي لا يعملها إلا الله سبحانه وتعالى بهدف تهوين شأنه أمام الناس وإظهاره بصورة من لا يعلم شيئًا فينفض الناس عنه، ومن ذلك سؤالهم له ﷺ عن الروح وعن الساعة قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

سبب نزولها: قال ابن عباس: قال جبل بن أبي قشير وشموال بن زيد وهما من اليهود يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا فإن نعلم متى هي فأنزل الله تعالى هذه الآية[(١)].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ استئناف مسوق لبيان بعض أحكام ضلالهم وطغيانهم أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة، أو لسرعة ما فيها من الحساب؛ أو لأنها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها، قيل إن قومًا من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا فإنا نعلم متى هي، وكان ذلك امتحانًا منهم مع علمهم أنه تعالى قد استأثر بعلمها[(٢)].

فالآية الكريمة توضح مدى تعنت هؤلاء اليهود ومحاولتهم إحراج النبي ﷺ وتشكيك الناس فيه وفضهم عنه وإيهام الناس أنهم أعلم منه.

كذلك استخدم المشركون الحرب النفسية زمن السلم بوسائل مختلفة منها الاستهزاء منه ﷺ ومن المؤمنين وادعاءهم أن النبي ساحر وشاعر مجنون ومحاولتهم إغراء النبي ﷺ

(١) أسباب النزول للواحدي (ص١٨٧).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم (٢/ ٣٢٧).

والمؤمنين وغير ذلك من وسائلهم الخبيثة في الحرب النفسية والتي حكتها آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ [التكوير: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢].

وكذلك فمن أساليبهم تعنتهم في طلب الآيات ليحرجوه ﷺ ويظهروا عجزه قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨].

يقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: أنها شروع في حكاية الكفار في قدحهم في نبوته عليه السلام بعدما أشير قدحهم فيها ضمنا وهذه المقولة من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل(١) والآية الكريمة حلقة من حلقات الاقتراحات التي اقترحوها على رسول الله ﷺ ليعجزوه ويقدحوا في نبوته والآيات الدالة على محاولتهم في تعجيزه ﷺ كثيرة تنبئ عن عناد القوم وجحودهم وتعنتهم وأنهم لم يطلبوا الآيات للاهتداء وإنما طلبوها للحجاج والعناد.

أما المنافقون فلم يكن استخدامهم لهذا النوع من الحرب النفسية زمن السلم بأقل من جبهات العداء الأخرى فلقد استخدموها بمختلف الوسائل منها:

التثبيط للمؤمنين وتحطيم معنوياتهم وهو ما حكاه قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

فهم أرادوا بقولهم: ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ ﴾ تثبيط المؤمنين ليقعدوا عن الحرب،

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٢/ ١٢٦) باختصار وتصرف.

وأرادوا تحطيم معنوياتهم في الإقبال على الجهاد بروح عالية.

يقول العلامة الشوكاني في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ ﴾ أي قال المنافقون لإخوانهم هذه المقالة تثبيطًا لهم وكسرًا لنشاطهم وتواصيًا بينهم بالمخالفة لأمر الله ورسوله(١).

فهم كانوا يتفننون في أن يجعلوا من المؤمنين نموذجًا مماثلاً لهم حتى لا يظهرون كالأجرب وسط الأصحاء ولكن هيهات لهم ذلك مع قوم ذاقوا حلاوة الإيمان.

ومن مواقف المنافقين في الحرب النفسية زمن السلم: محاولتهم خداع النبي ﷺ وصحابته بحسن سريرتهم واستعانتهم على ذلك بالأيمان الكاذبة، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٢].

فهم استتروا خلف الأيمان الكاذبة ليخدعوا بها النبي ﷺ والمؤمنين.

يقول العلامة ابن عاشور في معنى كلمة ﴿ جُنَّةً ﴾ هي ما يستتر به ويتقى منه سميت الدرع جنة والمعنى جعلوا أيمانهم كالجنة يتقي بها ما يلحقه من أذى.

﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ تفريع لصدهم عن سبيل الله على الحلف الكاذب لأن اليمين الفاجرة من كبائر الإثم لما فيها من الاستخفاف بجانب الله تعالى ولأنهم لما حلفوا على الكذب ظنوا أنهم قد أمنوا اتهام المسلمين إياهم بالنفاق فاستمروا على الكفر والمكر بالمسلمين وذلك صد عن سبيل الله أي إعراض عن الأعمال التي أمر الله بسلوكها، وجملة ﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ تذييل لتفظيع حالهم عند السامع(٢).

وذلك مثل ما حكاه القرآن عن أحد المنافقين فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

فمعنى قوله تعالى: ﴿ وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ أنه يحلف على ذلك فيقول يشهد

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٠٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء الثامن والعشرون (١٣/ ٢٣٦) باختصار وتصرف.

الله على ما في قلبي من محبتك أو من الإسلام أو يقول الله يعلم أني أقول حقًا أو أني صادق في قولي لك والله سبحانه يعلم منه خلاف ذلك[١]، فهو يقول ذلك خداعًا ونفاقًا.

وهكذا استخدمت جبهات العداء المختلفة هذا النوع من الحرب النفسية -زمن السلم- ضد الإسلام ورسوله وأتباعه وما زالوا يستخدمونه حتى الآن وهو ما يسمونه حديثًا بالحرب السياسية فالكفر كله ملة واحدة منهجه واحد وإن اختلفت وسائل وأزمنة الاستخدام لهذا المنهج.

وسأوضح هذه الوسائل على وجه البيان والتفصيل في وسائل الأعداء في الحرب النفسية في الفصل القادم إن شاء الله.

ثانيًا: الحرب النفسية زمن الحرب:

وهي حرب هجومية يخوضها جيش بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم قوة المقاومة المعنوية في جيش العدو وفي السكان المدنيين وتخاض هذه الحرب للتقليل من نفوذ العدو في أعين الدول المحايدة[٢].

والحرب النفسية جزء من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب وفي أثنائها وفي أعقابها ثم إنها لا تخضع لرقابة القانون ولا لعادات ولا تعرف على أساس وصف أو نظام المعركة[٣].

وهي استخدام مخطط من جانب الدولة وقت الحرب أو في وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها[٤].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٧٧).
(٢) الحرب النفسية، د/ أحمد نوفل (١/ ٣٤).
(٣) الحرب النفسية، صلاح نصر (ص١١٠).
(٤) المصدر السابق (ص٩٢).

obeikandl.com

فالحرب النفسية زمن الحرب هي طريقة هجومية توجه إلى العدو لإضعاف معنوياته وتشكيكه في النصر كما تقطع طريق الإمدادات إليه من الجماعات التي اعتادت إمداده كما أنها توجه لجيش مستخدمها نفسه بهدف إرشاده إلى أساليب معينة أو رفع روحه القتالية.

فهي ملازمة ومساندة للحرب العسكرية، ولقد استخدم الإسلام هذا النوع على محاور مختلفة:

أولاً: محور داخلي.

ثانيًا: محور خارجي.

والمحور الداخلي يتمثل في عدة توجيهات:

أ- تحريضهم على القتال وبث الثقة بالنصر في نفوسهم.

ب- توجيه المسلمين إلى استخدام الشدة والغلظة ضد الأعداء.

أ- تحريضهم على القتال وبث الثقة بالنصر في نفوسهم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

يقول العلامة الألوسي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ ﴾ المعنى يا أيها النبي بالغ في حث المؤمنين على قتال الكفار.

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ ﴾ شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد العشرة والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده.

ذلك ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ متعلق بيغلبوا أي بسبب أنهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابًا وامتثالاً لأمر الله تعالى وإعلاء كلمته وابتغاء

رضوانه كما يفعل المؤمنون وإنما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع الشيطان وإثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون إلا القهر والخذلان[١].

فالآية فيها توجيه للنبي ﷺ أن يحرض المؤمنين ويحثهم على القتال ثم هي تعدهم إن أطاعوا وصبروا أن يكون النصر حليفهم والنجاح قرينهم.

ومن استخدام النبي لأسلوب التحريض على القتال:

قال ﷺ في غزوة بدر: «**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم** -يعني الأعداء- **اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبل غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**»[٢].

فهذا تحريض منه ﷺ لإلهاب مشاعر القتال في نفوس أصحابه فيقبلون عليه لا يخشون موتًا فوراء الموت جنة عرضها السموات والأرض ونعيم لهم مقيم إن هم استشهدوا أرواحهم في حواصل طيور خضر في الجنة فهل يتثاقل صادق الإيمان أمام هذا الجزاء.

ب- توجيه المسلمين إلى استخدام الشدة والغلظة ضد الأعداء:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

يقول العلامة القاسمي عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾ والمعنى أي يقربون منكم وهم مشركوا الجزيرة العربية.

﴿ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ ﴾ كلمة جامعة للجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر والغلظة ضد الرقة.

---

(١) روح المعاني للألوسي الجزء العاشر (٦/ ٤٥) باختصار وتصرف.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٠، ١٤١).

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ بالنصرة والمعونة[١] والغلظة المطلوبة في القتال هي الخشونة في القتال والشدة فيه وليست هي الوحشية مع الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة غير المحاربين أصلاً وليست تمثيلاً بالجثث والأشلاء على طريقة المتبربرين الذين يسمون أنفسهم متحضرين في هذا الزمان وقد تضمن الإسلام ما فيه الكفاية من الأوامر لحماية غير المحاربين ولاحترام بشرية المحاربين إنما المقصود الخشونة التي لا تميع المعركة وهذا الأمر ضروري لقوم أمروا بالرحمة والرأفة في توكيد وتكرار فوجب استثناء حالة الحرب بقدر ما تقتضي حالة الحرب دون رغبة في التعذيب والتمثيل والتنكيل[٢].

والخطاب في الآية وجه للمؤمنين دون النبي ﷺ إيماء إلى أن النبي ﷺ لا يغزو بعد ذلك وأن أجله الشريف قد اقترب ولعل في قوله ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ إيماء إلى التسلية على فقدان نبيهم ﷺ وأن الله معهم، والمقصود من الآية إلقاء الرعب في قلوب الأعداء حتى يخشوا عاقبة التصدي لقتال المسلمين[٣].

فإن كان السمت العام في المؤمنين هو الرأفة والرحمة فمقام الحرب يخالف ذلك وإنما يقتضي الشدة والغلظة في معاملة الأعداء حتى يروا قوة المؤمنين فيرهبوها ويقلعوا عن قتالهم ولعل الغلظة تثنيهم عن القتال وتجعلهم يستمعون إلى الحق الذي طالما أعرضوا عنه وتصدوا له.

ثانيًا: المحور الخارجي ويتمثل في عدة عناصر:

أ- إلقاء الرعب في نفوس الأعداء.

ب- استخدام آلات لم يكن يعرفونها.

ج- استخدام أساليب لم يتعودوا عليها.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٨/ ٣٣٠٠).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٧٤١).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الحادي عشر (٦/ ٦٣، ٦٤).

أ- إلقاء الرعب في نفوس الأعداء:

إلقاء الرعب في نفوسهم، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

فإلقاء الرعب من الله سبحانه في قلوب الأعداء هزمهم نفسيًا وحطمهم معنويًا وزلزل الأرض من تحت أقدامهم في ساحة القتال.

﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ سألقي الرعب والذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي[(١)] والجملة مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا إخبارًا لهم بما يقتضي التخفيف عليهم في العمل الذي كلفهم الله به بأن الله كفاهم تخذيل الكافرين بعمل آخر غير الذي كلف الملائكة بعمله[(٢)].

وعبر بالإلقاء لما فيه من الإشعار بأنه يصب في القلوب دفعة الواحدة[(٣)].

فقذف الرعب في قلوب الأعداء هز معنوياتهم هزة عنيفة وخذلهم وأرجف قلوبهم، كذلك من تحطيم القرآن لمعنويات أعداء الإسلام إخبارهم بأنهم سيغلبون في الدنيا وسيكون مصيرهم في الآخرة جهنم، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢].

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ ﴾ أي قل مشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر، وقيل لليهود فإنه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا: لا يغرنك إنك أصبت أغمارًا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس، فنزلت الآية وقد صدق الله وعده

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٩٢).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء التاسع (٥/ ٢٨٢).
(٣) تفسير المنار (٩/ ٥١١).

لهم بقتل قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عاداهم وهو من دلائل النبوة[١].

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ جهنم أو ما مهدوه لأنفسهم[٢] فلا شك أنه من يعرف أنه يخوض المعارك ويعرض نفسه للخطر ثم يهزم ويكون مصيره النار سوف تتحطم معنوياته وتتخاذل عزيمته.

ب- استخدام آلات لم يكونوا يعرفونها:

ولقد استخدم النبي ﷺ في مواجهته أعدائه أثناء الحرب وسائل هزت معنوياتهم وأسقطت في أيديهم منها استخدام آلات لم يكونوا يعرفونها كما حدث في حصار الطائف[٣].

ج- استخدام أساليب لم يتعودوا عليها:

واستخدم النبي ﷺ وسائل لم يتعودوا عليها كوسيلة القتال في صفوف، كما استخدم وسيلة تحطيم المعنويات ضد الأعداء إذ أمر بتقطيع نخيلهم في حصاره ﷺ لبني النضير[٤].

كل هذه الأمثلة التي تمثل استخدام النبي ﷺ لوسيلة تحطيم المعنويات زمن الحرب التي أثرت في الأعداء تأثيرًا كبيرًا وهزمتهم نفسيًا قبل أن يهزموا عسكريًا وفي المقابل كان ﷺ يحفز المؤمنين ويشجعهم ويرفع من معنوياتهم حتى قال واحد منهم[٥] له ﷺ والله يا رسول الله لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد[٦].

---

(١) الرحيق المختوم (ص٢٧٩) باختصار وتصرف، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٩٤).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٠، ١٥١).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٦٢).
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٩٠).
(٥) وهو الصحابي الجليل سيدنا سعد بن معاذ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢).
(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٦٢).

openkandil.com

ولقد استخدمت جبهات العداء المختلفة الحرب النفسية ضد الرسول والمسلمين في الحرب، فلقد تحزبوا ضد المسلمين وجمعوا كلمتهم لمحاربتهم مما أسقط في أيدي المؤمنين وأربكهم لولا أن من الله عليهم بحفر الخندق وأرسل على أعدائهم الريح والملائكة فاقتعلت خيامهم وفرقت جمعهم. قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

يقول العلامة البغوي[1]:

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعجم طليحة بن خوليد الأسدي في بني الأسدي وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة.

﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب هم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب ومن تبعه وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان السبب الذي جر غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم.

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ مالت وشخصت من الرعب.

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع.

﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد ﷺ وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم.

---

(١) العلامة البغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي إمام التفسير والحديث والفقه وصاحب مصنفات متعددة منها: شرح السنة والمصابيح، والجمع بين الصحيحين وغيرها، توفي سنة ٥١٦هـ، انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، مكتبة وهبة، ١٩٧٦م، القاهرة (ص٤٩، ٥٠).

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ﴾ أي عند ذلك اختبر ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ بالحصار والقتال ليتبين المخلص من المنافق.

﴿ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ حركة شديدة(١).

إنها صورة الهول الذي روع المدينة والكرب الذي شملها والذي لم ينجو منه أحد من أهلها وقد طبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كل جانب، من أعلاها ومن أسفلها فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله وسلوكها في الشدة، وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقًا والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسمًا لا تردد فيه(٢).

وكان لنقض اليهود عهدهم مع رسول الله ﷺ وقت حرب الأحزاب حربًا نفسية خطيرة المرمى قوية التأثير، فهم نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ ونكثوه وحالفوا قريشًا على قتال رسول الله ﷺ(٣).

فأنزل الله تعالى فيهم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٦].

﴿ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ ﴾ صيغة الاستقبال للدلالة على تعدد النقض وتجدده وكونهم على نيته في كل حال أي ينقضون عهدهم الذي أخذ منهم.

﴿ فِى كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ أي من مرات المعاهدة وجواز أن يكون في كل مرة من مرات المحاربة.

﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ سبة الغدر ومغبته أولاً يتقون الله تعالى فيه وقيل لا يتقون

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٥١٥، ٥١٩) باختصار.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٣٨٣٧).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي الجزء العاشر (٦/ ٣٢) باختصار وتصرف.

نصرة المسلمين وتسلطهم عليهم[١].

فنقض العهد ديدنهم وخاصة إذا لمحوا في المسلمين ضعفًا أو حاجة، فشأنهم أنهم لا يتقون الله ومن لا يتق الله فلا تستبعد عليه أي رذيلة.

ولقد ذكر ابن هشام أن اليهود من بني النضير الذي حرضوا الأحزاب على محاربة رسول الله ﷺ وهم الذين حزبوهم وقالوا لهم: إنهم سيكونون معهم ضد الرسول ﷺ[٢] كما أن حيي بن أخطب النضري هو الذي ذهب إلى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعاهده وحرضه على التحزب مع الأحزاب ضد المسلمين وحرضه على نقض العهد مع الرسول ﷺ فنقضه[٣].

فلما وصل الخبر إلى الرسول ﷺ أرسل سعد بن معاذ[٤] وسعد بن عبادة[٥] وعبد الله بن رواحة[٦] ليتأكدوا من خبر نقض بني قريظة للعهد ثم لما تأكدوا ذهبوا إلى رسول الله

---

(١) روح المعاني للألوسي الجزء العاشر (٦/ ٣٢) باختصار وتصرف.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٠٦).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٠، ١١١).

(٤) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يدي مصعب بن عمير شهد بدرًا وأحدًا والخندق، ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهرًا ثم توفي وشهد جنازته سبعون ألفًا من الملائكة ما وطئوا الأرض قبل، انظر: الاستيعاب (٢/ ٦٠٢، ٦٠٥).

(٥) هو سعد بن عبادة بن دليم بن أبي حليمة الخزرجي الأنصاري الساعدي أحد النقباء شهد العقبة، واختلف في شهوده بدرًا، وكان من أعلام الأنصار، روى عن الرسول ﷺ وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عباس وغيره، قيل مات في خلافة عمر سنة ١٥هـ، وقيل مات في خلافة أبي بكر سنة إحدى عشرة هجرية. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٩٤، ٥٩٩).

(٦) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، شهد العقبة والمشاهد بعدها حتى مؤتة حيث استشهد بها، وهو أحد أمراء الجيش في مؤتة وأحد الشعراء المحسنين. انظر الاستيعاب (٣/ ٨٩٨).

ﷺ وأكدوا له الخبر فقال رسول الله ﷺ الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين[١] وهذا يؤكد لنا أن النبي ﷺ إذا وصله خبر كان يتثبت منه ويتلمس عليه البينة حتى يكون تصرفه تجاه هذا الخبر تصرفًا صحيحًا، وفي هذا تعليم لنا أن نتثبت من الأخبار ونتأكد منها حتى لا نصيب قومًا بجهالة فنصبح على ما فعلنا نادمين.

كذلك كان للمنافقين مواقفهم أثناء الحرب والتي تعتبر محاولة منهم لحرب المسلمين نفسيًا، ومن ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن موقفهم من غزوة الأحزاب.

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

فهم حاولوا تشكيك المؤمنين في وعد الله بعد أن شكوا هم فيه ولذلك وقعه الخطير في نفوس المسلمين والوضع على هذه الحالة من الشدة.

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ معتب بن قشير، وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه.

﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شك وضعف اعتقاد.

﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ وهو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، وهذا والله الغرور[٢].

إنها سهم مسموم أطلق في ساعة عصيبة أراد مطلقوه تشكيك المؤمنين في وعد الله، أطلقوه والخطب عصيب والساعة حاسمة.

وبهذا يواجه الصف المؤمن في هذه العزوة أحزاب تتحزب عليه من كل جهة وإذا صفه الداخلي تنشق عنه فئة فتعلن تمردها وتكون صفًا متحزبًا داخليًا.

ويخيب الله رجاء كل هؤلاء الأعداء فيفرق شمل الأحزاب ويتوعد المنافقين بالدرك الأسفل من النار وساء لهم مصيرًا.

---

(١) نفس المصدر السابق (٣/ ١١١).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٥١٦).

فالأعداء كما رأيت اليهود والمشركون والمنافقون قد شنوا حربًا نفسية هجومية شديدة ضد الرسول ﷺ والمسلمين فاليهود عملوا عملهم والمنافقون انتهزوا الفرصة وما قاموا برد الكفار من قريش وأعوانهم ولم يألوا جهدًا في زعزعة أركان الإسلام ولكن الله ناصر المؤمنين ومؤيدهم فالأعداء يستخدمون الحرب النفسية الهجومية ضد الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان ولكنها في حالة الحرب أشد حيث تتهيأ أسبابها بكثرة ولكن المسلمين واجهوا ويواجهون مثل هذه الهجمات بالإخلاص في اللقاء والعقيدة الصادقة والله ينصر من ينصره[١].

(١) كتاب الحرب النفسية في صدر الإسلام (ص٢١٥، ٢١٦) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

المطلب الرابع: تقسيم الحرب النفسية على أساس المضمون إلى

أولاً: حرب نفسية فكرية أو حرب المعتقدات.

ثانيًا: حرب نفسية إعلامية.

أولاً: الحرب النفسية الفكرية «الأيدلوجية» أو حرب المعتقدات:

الأيدلوجية هي نسق من المعتقدات والمفاهيم أو هي نظام الأفكار المتداخلة كالمعتقدات والمفاهيم والتقاليد والمبادئ والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية.

والحرب النفسية الأيدلوجية تتمثل في الصراعات المتبادلة بين أفكار وغيرها مما يوجد نوعًا من الجدل بين وجهات نظر متعارضة تتضمن الدفاع عن هذه وهدم تلك[1].

ولقد دارت حرب المعتقدات بين الإسلام وأعدائه سجالاً فلقد واجه الإسلام أعداءه في بطلان ما هم عليه من معتقدات دينية واجتماعية وأخلاقية ولقد واجه القرآن الكريم ذلك في آياته ومن ذلك:

أ- أن واجههم القرآن ببطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام.

ب- كما عاب عليهم ادعاءهم أن الملائكة بنات الله.

ج- وعاب عليهم التفرقة بين طبقات المجتمع.

د- كما عاب عليهم التبديل والتغيير والتحريف.

أ- أن واجههم القرآن ببطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام:

لقد واجههم القرآن ببطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام وبين لهم أن هذه الأصنام عاجزة عن أن تفعل شيئًا ولا أن تخلق شيئًا ولا أن تجلب لنفسها شيئًا فهي بالنسبة لجلب

---

(١) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م، (ص٢٣٤).

النفع أو درء المفاسد عن غيرها أعجز، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

يقول العلامة البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ بين لكم حال مستغربة أو قصة رائعة ولذلك سماها مثلاً، أو جعل لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة.

﴿ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾ للمثل أو لشأنه استماع تدبر وتفكر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني الأصنام، ﴿ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا ﴾ أي لا يقدرون على خلقه مع صغره لأن «لن» بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفى عنه، والذباب: من الذب لأنه يذب وجمعه أذبة وذبان.

﴿ وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ أي للخلق هو بجوابه المقدر في موقع حال جيء به للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين.

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ﴾ جهَّلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلهًا قادرًا على المقدورات كلها وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها، ولو اجتمعوا لها بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يخطفه من عندها.

﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ عابد الصنم ومعبوده[1] فلقد وصفت الآية الكريمة عبادة ما دون الله سبحانه بأنها عبادة باطلة لأنها عبادة لآلهة مزيفة لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرًا ولا نفعًا.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] أي أخبروني عن الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها وهل

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٩٦) باختصار وتصرف.

أوحت إليكم شيئًا كما أوحى الله إلى محمد؟ أم هي جمادات لا تعقل ولا تنفع[١] ولقد عاب القرآن الكريم على أعداء الإسلام من المشركين ادعاءهم أن الملائكة بنات الله وهم في أنفسهم يكرهون البنات فنسبوا لله ما يكرهونه بل ويدفنونه حيًا.

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨-٩]، ولقد وبخهم الله على نسبتهم البنات إلى الله بقوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢١-٢٢].

يقول العلامة القاسمي: كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونها ويزعمون أنها شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات فقيل لهم ألكم الذكر وله الأنثى؟ ويجوز أن يراد أن اللاة والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء، ومن شأنكم أنكم تحتقرون الإناث وتسنكفون من أن يولدن لكم وينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أولادًا لله وتسمونهن آلهة؟ وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية.

﴿ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ جائزة غير مسبوقة ناقصة غير تامة لأنكم جعلتم لربكم من الولد والند ما تكرهون لأنفسكم وآثرتم أنفسكم بما ترضونه[٢].

فالآيتان الكريمتان تبينان بطلان ما هم عليه من اعتقاد أن الملائكة بنات الله أو أن آلهتهم بنات وهم شركاء لله ثم عاب القرآن الكريم عليهم كرههم للبنات ووأدهم لهن كما ذكرت الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

ومن عاداتهم التي واجههم القرآن الكريم ببطلانها أنهم كانوا يفرقون بين طبقات المجتمع المختلفة، الغني عندهم أكرم وأفضل من الفقير حتى كانوا لا يجالسون الفقراء

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٠٧).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/ ٥٥٧٤) باختصار وتصرف.

ومما يدل على ذلك ما ذكره الإمام الواحدي عن خباب بن الأرت[١] قال: كنا ضعفاء عند النبي ﷺ بالغداة والعشي فعلمنا القرآن والخير وكان يبشرنا بالجنة ويخوفنا من النار وما ينفعنا والموت والبعث فجاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فقالا: إنا من أشراف قومنا وإنا نكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك، قال نعم، قال: لا نرضى حتى نكتب كتابًا، فأتى بأديم ودواة[٢] فنزلت هؤلاء الآيات: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٣].

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ يعني صلاة الصبح وصلاة العصر أو المراد الصلوات الخمس.

﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ ﴾ أي يريدون الله بطاعتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ أي لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتملهم، ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ جواب لقوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ وقوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ جواب لقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ﴾ أحدهم جواب النفي والآخر جواب النهي[٣].

فالآية الكريمة هي الخطوة الأولى في إبطال عادة الجاهلية من تفضيل الناس على

---

(١) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب التميمي من السابقين إلى الإسلام، قيل إنه سادس من دخل في الإسلام وأول من أظهر إسلامه وعذب كثيرًا، روى أحاديث عن الرسول ﷺ وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وما بعدها، توفي في الكوفة وعاش ٦٣ سنة. انظر: الإصابة (١/ ٤١٦).

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص١٧٩) بتصرف.

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٩٩).

أساس الأنساب فلقد نهت النبي ﷺ على أن يطرد المؤمنين، أما الخطوة الثانية فلقد نهت النبي ﷺ عن طاعة هؤلاء الذين يتفاخرون بأنسابهم ويغفلون عن طاعة ربهم وأمرته ﷺ ألا يرتبط إلا بهؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ أي احبسها وثبتها، ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ ﴾ أي مصاحبة مع الذين، ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ أي يعبدونه دائمًا، ﴿ يُرِيدُونَ ﴾ بذلك الدعاء، ﴿ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ أي رضاه سبحانه وتعالى دون الرياء والسمعة.

﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ أي لا تصرف عيناك النظر عنهم إلى أبناء الدنيا والمراد النهي عن احتقارهم وصرف النظر عنهم لرثاثة حالهم إلى غيرهم.

﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ أي تطلب مجالسة من لم يكن مثلهم من الأغنياء وأصحاب الدنيا.

﴿ وَلَا تُطِعۡ ﴾ في تنحيه الفقراء من مجلسك.

﴿ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا ﴾ أي جعلنا قلبه غافلاً، ﴿ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ لبطلان استعداده للذكر بالمرة كأولئك الذين يدعونك إلى طرد الفقراء فإنهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه أولئك الفقراء من الدعاء في الغداة والعشي[(١)].

ومع هذا فهم ممن اتبع هواه وآثره على الحق فاختار الشرك على التوحيد[(٢)].

﴿ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ ﴾ في اتباع الهوى وترك الإيمان، ﴿ فُرُطٗا ﴾ أي ضياع وهلاك[(٣)].

---

(١) روح المعاني للألوسي الجزء الخامس عشر (٩/ ٣٧٧، ٣٨١).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٧).
(٣) روح المعاني للألوسي الجزء الخامس عشر (٩/ ٣٨٢) باختصار.

أما الخطوة الثالثة فهي بيان أن مناط التكريم عند الله هو التقوى فلا فضل لشريف على وضيع ولا لغني على فقير، ولا للون على لون إلا بالتقوى، فالكل في الأصل سواء ثم تأتي التقوى لتأتي المفاضلة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

يقول العلامة أبو السعود:

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام، لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى(١).

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ والكريم حقًا هو الكريم عند الله وهو يزنكم عن علم عن خبرة بالقيم والموازين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾.

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع وخلقهم من أصل واحد كما يرتفع لواء واحد ليتسابق الجميع ليقفوا تحت لواء التقوى في ظل الله وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقائد العصبية للجنس والعصبية للأرض والعصبية للقبيلة والعصبية للبيت وكلها من الجاهلية وإليها تتزيا بشتى الأزياء وتسمى بشتى الأسماء وكلها جاهلية عارية من الإسلام(٢).

وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها ليقيم نظامه

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم لأبي السعود (٥/ ٦١٥) باختصار.
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٤٨).

الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله، لا راية الوطنية ولا راية القومية ولا راية البيت ولا راية الجنس فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

وقال ﷺ عن العصبية الجاهلية: «**دعوها فإنها منتنة**»(١).

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي(٢).

كما واجه الإسلام أعدائه من أهل الكتاب ببيان بطلان ما هم عليه من معتقدات بعدما حرفوا كتبهم وبدلوا فيها، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨].

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ المراد بهم اليهود والنصارى وأخرج ابن إسحاق وابن جرير رضي الله عنهما عن ابن عباس قال: جاء رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع حريملة فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله تعالى حق؟ فقال النبي ﷺ: «**بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فبرئت من إحداثكم**» قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك فانزل الله تعالى فيهم: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ أي دين يعتد به ويليق أن يسمى شيئًا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير ما لا يخفى من التحقير، ومن أمثالهم: أقل من لا شيء(٣).

﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الأمور، التي من جملتها دلائل رسالة النبي ﷺ وشواهد نبوته.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب التفسير سورة المنافقون (٦/ ٩٠)، طبعة دار الشعب.

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٤٨).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠٤) باختصار وتصرف.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ أي القرآن المجيد وإقامته بالإيمان به[١].

ولقد استخدم أعداء الإسلام حرب المعتقدات ضد المسلمين، ولقد اتخذت حربهم ضد معتقدات الإسلام عدة محاور منها ما يلي:

أولاً: أنهم شككوا في شخص النبي ﷺ وفي نسبة الرسالة إليه قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤].

وقالوا ما حكاه القرآن ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ [ص: ٨]. فقوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ تمثل التشكيك في شخص النبي ﷺ ووصفه بأنه ساحر وكذاب ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾ بشر مثلهم أو إنس من عدادهم[٢].

﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ والمعنى أن هذا المدعي للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات كذاب فيما يدعيه من أن الله أرسله[٣].

وقوله تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾.

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾ أي القرآن[٤] والاستفهام للإنكار أي كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والأشراف، قال الزجاج، قالوا: كيف أنزل على محمد القرآن ونحن أكبر سنًا وأعظم شرفًا منه؟ وهذا ما ذكره الله عز وجل على لسانهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ [الزخرف: ٣١] فأنكروا أن يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء[٥] فهم استكثروا الرسالة على النبي ﷺ وهو ليس

(١) روح المعاني للألوسي الجزء السادس (٤/ ٢٩١، ٢٩٢) باختصار.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٣٠٧).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٠٦) باختصار وتصرف.
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٤٩).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٠٧) باختصار وتصرف.

من أكبرهم ولا أغناهم فأنكروا أنها أنزلت عليه فهو ليس جدير من وجهة نظرهم أن ينزل عليه وحي أن الوحي تشريف والتشريف حقيق بالأشراف الذين هم ذوي المال والجاه لديهم.

ثانيًا: كما واجه الإسلام من أعدائه في حربهم العقيدية له تشكيك في أن القرآن منزل من عند الله فقالوا ما حكاه القرآن الكريم ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥].

وقال تعالى أيضًا حكاية عنهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ [الفرقان: ٤].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ يعني مشركي قريش وقال مقاتل هو قول النضر بن الحارث.

﴿ إِنۡ هَٰذَآ ﴾ أي ما هذا، يعنون القرآن، ﴿ إِلَّآ إِفۡكٌ ﴾ يعني كذب، ﴿ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه، ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ ﴾ قال مجاهد: يعنون اليهود، وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس مولى حويطب ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبر مولى لعامر أيضًا وكان الثلاثة من أهل الكتاب.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ المعنى وقالوا الذي جاء به أساطير الأولين(١).

فقد تضمنت الآيتين إيراد ما حكاه المشركون عن القرآن فقالوا إنه من اختلاق محمد ﷺ واختراعه فهو ليس وحي كما يزعم إنما هو حكايات الأولين عملها له وقرأها عليه بعض اليهود وهكذا كانت حربًا عقيدية ضد الإسلام.

ولكن القرآن لم يتركهم وقولهم بل رد عليها وبين أن قولهم افتراء وزورًا وظلمًا من عند أنفسهم.

ثالثًا: كما واجه الإسلام حربًا عقيدية ضد شعائره منها الصلاة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٨].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٧٢، ٧٣) باختصار.

يقول العلامة البغوي عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ قال الكلبي كان منادى رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود: قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: حرق الكاذب فدخل خادمه بنار وأهله ذات ليلة نيام فتطايرت منه شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله، وقال الآخرون إن الكفار لما سمعوا الآذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئًا لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العير فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر[١].

فتفسير الآية كما ذكرها العلامة البغوي يوضح مدى الكيد والحقد والحسد الذي أضمره أعداء الإسلام للإسلام وأصحابه فأخذوا يشككون ويسخرون حتى من شعائر الدين وما هذا إلا لأنهم لا يعقلون وإذا كان هذا ما حكاه القرآن عن أعداء الإسلام الذين عاصروه[٢].

فما زال أعداء اليوم يحملون ضده نفس المشاعر ويستخدمون ضده حرب الأفكار والمعتقدات فلقد فرض أعداء الإسلام على المجتمعات الإسلامية القوانين الوضعية التي تشكل تعارضًا شديدًا مع الإسلام فهؤلاء الأعداء أرادوا أن يكون الإسلام عقيدة دون شريعة وعبادة دون معاملة، ودينًا دون دولة وقرآنًا دون سلطان[٣].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٨)، وانظر أسباب النزول للواحدي (ص١٦٤، ١٦٥).
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٨).
(٣) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د/ سعد الدين صالح (ص٢٣٤، ٢٣٥).

وهكذا فالإسلام كان وما زال يواجه حربًا شعواء من أعدائه في عقائده وتشريعاته وأفكاره فهل يعي المسلمون ذلك ويهبوا للانتصار له.

ثانيًا: الحرب النفسية الإعلامية:

هي كل ما يبثه الخصم من تضليلات لتحطيم عدوه بأية وسيلة إعلامية فالحرب النفسية الإعلامية هي الاستخدام المخطط من جانب الدولة للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية التي تستهدف جماعات محايدة أو معادية أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة[١].

فوسائل الإعلام تقوم بالدور الرئيسي في الحرب النفسية حتى نستطيع القول أن الحرب النفسية هي حرب وسائل الإعلام[٢] فالحرب النفسية الإعلامية تعمل على تثبيط العدو وتحطيم معنوياته وتغيير أفكاره كما أنها تعمل على كسب المحايدين ورفع معنويات المؤيدين.

ولقد استخدم الرسول ﷺ وسائل إعلامية في مواجهة أعدائه منها مواجهتهم بالخطابة التي تبطل معتقداتهم، ومنها إرسال الرسل إليهم تحذرهم عاقبة العداء مع المسلمين ومنها تشجيع الشعراء المسلمين لمواجهة أعدائهم بالشعر.

من وسائل الحرب الإعلامية:

أولاً: الخطابة، ثانيًا: الشعر،

أولاً: الخطابة:

وهي من خطب الناس وفيهم وعليهم خطابة وخطبة، ألقى عليهم خطبة والخطبة

---

(١) الرسول والحرب النفسية، علي حسني الخربوطلي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٢م (ص٧٨).
(٢) الحرب النفسية، د/ أحمد نوفل (١/ ٤٣)، ط/ دار الفرقان باختصار وتصرف.

من الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعًا من الناس لإقناعهم[١].

وعرفت الخطابة بأنها:

صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير على نفس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم[٢].

وعرفت أيضًا بأنها علم يقوم على تحريك المشاعر واستثارة العواطف واستمالة القلوب وإقناع العقول نحو غاية محدودة وهدف مقصود[٣] ولذا كان لها تأثير خطير في الحرب النفسية.

وعرفت أيضًا بأنها: مجموعة قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع[٤].

والخطابة من وسائل الإعلام المؤثرة التي استخدمت قديمًا وما زالت تستخدم حديثًا في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والتأثير في نفوس الناس وذلك لما لها من منزلة كبيرة ومكانة عظيمة في النفوس حيث أنها تهز أوتار القلوب وتملك مفاتيح العقول.

استخدام الخطابة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية:

والخطابة من وسائل الحرب النفسية الإعلامية استخدمت للتأثير على صفوف الأعداء والتأثير في معنوياتهم كما استخدمت لرفع الروح المعنوية لدى الجبهة الداخلية.

وكانت الخطابة تستخدم في السلم أداة للمفاخرة والمنافرة كما تستخدم في الحرب للتثبيت والتحميس وبعث الحمية في النفوس وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف وكانت الخطابة من أهم الوسائل لدى الأنبياء والمرسلين من قبل سيدنا محمد ﷺ وذلك من لدن نوح وحتى خاتم الأنبياء عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

---

(١) المعجم الوجيز مادة خطب (ص٢٠٢).
(٢) الخطابة نشأتها وميدانها، د/ محمود رسلان (ص١٥).
(٣) التهذيب في فقه الخطبة والخطيب، د/ محمد عبد العزيز داود (ص٩).
(٤) الخطابة الإسلامية، د/ جبر محمد حسن جبر (ص١٠).

استخدام الخطابة في الدعوة إلى الله:

وكانت الخطابة وسيلة مهمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإثناء المعاندين عما هم فيه من الغي والأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى، عملاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ حذف المفعول للتعميم لكونه بعث إلى الناس كافة.

والمراد بـ﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ هو الإسلام ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ بالمقالة المحكمة الصحيحة قيل وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ وهي المقالة المشتملة على الموعظة المستحسنة لدى السامع ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ﴾ لما حث الله سبحانه على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الرشد والهداية ليس إلى النبي ﷺ وإنما ذلك إليه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي هو العالم بمن يضل ومن يهتدي ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ أي بمن يبصر الحق فيقصده غير متعنت وإنما شرع لك الدعوة وأمرك بها قطعًا للمعذرة وتتميمًا للحجة وإزاحة للشبهة وليس عليك غير ذلك(١).

فالدعوة تستلزم النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم واختيار القدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها والطريقة التي يخاطبهم بها والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها كما تستلزم الدعوة أن يكون الخطيب رفيقًا لطيفًا في مخاطبة مشاعر الناس فإن الرفق في الموعظة كثيرًا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة(٢).

ولقد عمل رسول الله ﷺ بالآية الكريمة على أفضل وجه فقد تفانى في مخاطبة الناس

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٠٨) باختصار.

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٠٢) باختصار وتصرف.

وإعلامهم بتعاليم الدين وإرشادهم إلى طريق الصواب وذلك من أول لحظة أمر فيها بتبليغ الدعوة إلى الناس فكان مثالاً يحتذى به لكل داعية إلى الله.

ومن الآيات التي نزلت في أمر الرسول ﷺ لدعوة الناس، وقام ﷺ بعدها مباشرة يخطب فيهم وينذرهم من عذاب الله قول الله عز وجل ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

يقول العلامة ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية عطف على قوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ فهو تخصيص بعد تعميم للاهتمام بهذا الخاص ووجه الاهتمام أنهم أولى الناس بقبول نصحه وتعزيز جانبه ولئلا يسبق إلى أذهانهم أن ما يلقيه الرسول من الغلظة في الإنذار وأهوال الوعيد لا يقع عليهم لأنهم قرابة هذا المنذر وخاصته ويدل على هذا قوله ﷺ في ندائه لهم: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**» وأن فيه تعريضًا بقلة رعي كثير منهم حق القرابة إذ آذاه كثير منهم وعصوه مثل أبي لهب فلا يحسبوا أنهم ناجون في الحالتين، وأن يعلموا أنه لا يكتفي من مؤمنهم بإيمانه حتى يضم إليه العمل الصالح، فهذا مما يدخل في النذارة ولذلك دعى النبي ﷺ عند نزول هذه الآية قرابته مؤمنين وكافرين[1].

ومما يدل على استعمال الرسول ﷺ الخطابة لإعلام القوم وإنذارهم وسرعة استجابته ﷺ لما ينزل عليه من آيات ما ذكره الإمام البخاري عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ : «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي**» قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «**فإني**

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء التاسع عشر (٩/ ٢٠٠، ٢٠١).

نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا[١].

لما أعطي رسول الله ﷺ ما أعطي من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقي رسول الله ﷺ قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟**» قال: يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي، قال: «**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة**» قال: فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: «**يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم**» قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: «**ألا تجيبوني يا معشر الأنصار**» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ولرسول الله المن والفضل، قال ﷺ : «**أما والله لو سئلتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم، أتيتنا مكذبًا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك وطريدًا فأويناك وعائلاً فواسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**».

فبكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا ثم

(١) أخرجه الإمام البخاري في التفسير (٦/ ١٤٠).

انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا[١].

وهكذا أنهت خطبة النبي ﷺ ما لحق بالصف المسلم من بلبلة وزعزعة في نفوس الأنصار.

فإذ بالخطبة النبوية ترجع الصف المسلم أقوى مما كان ثابت الدعائم قوي الأركان وإذا بالقوم تبكي عيونهم مؤكدين ما للخطبة التي يخلص مؤديها فيها من تأثير على النفوس والوجدان.

استخدام الأعداء للخطابة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ورد المسلمين عليهم.

ولقد استخدم أعداء الإسلام وسيلة الخطابة في حربهم الإعلامية ضد الرسول ﷺ والمسلمين كما استخدمه الرسول ﷺ في مواجهة الأعداء ومن ذلك:

أن وفد بني تميم قدم ودخل المسجد ونادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله من صياحهم فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل، فقام عطاء بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنن وهو أهله الذي جعلنا ملوكًا ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عددًا وأيسرهم عدة فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام نحب من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس[٢] أخي بني الحارث بن الخزرج: «قم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٧٢، ٧٣) باختصار.

(٢) هو ثابت بن قيس بن شماس بن ظهير بن مالك بن كعب بن الخزرج، كان خطيب الأنصار ويقال له خطيب رسول الله ﷺ ، شهد أحدًا وما بعدها وقتل يوم اليمامة شهيدًا. انظر

فأجب الرجل في خطبته»، فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يك شيء قط إلا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكًا واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمه نسبًا وأصدقه حديثًا وأفضله حسبًا، فأنزل عليه كتابًا وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعى الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرين من قومه وذوي رحمه أكرم الناس حسبًا وأحسن الناس وجوهًا، وخير الناس فعالاً ثم كان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا وكان قتله علينا يسيرًا، أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم[(١)].

فلقد استخدم الفريقان الخطابة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية الإعلامية ونظرًا لتفوق الخطيب المسلم كان لخطبته الأثر العميق على نفوس بني تميم فقد أعجبوا بها وتأثروا لها حتى قالوا: لخطيبه أخطب من خطيبنا، وانتهى الأمر بإسلامهم وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم[(٢)].

ولذلك كانت الخطابة من المؤثرات القوية على النفوس والعقول والسلوك وكان لها تأثيرًا بالغًا لدى الموجهة إليهم.

كما استخدم اليهود الخطابة ضد المسلمين ومن ذلك أن حيي بن أخطب خرج للقاء بني قريظة يحرضهم أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مع الأحزاب وخطب فيهم وأقنعهم بنقض العهد مع الرسول ومقاتلته[(٣)] فنقضوه، وقد كان ذهب من قبل إلى قبائل العرب يحزبهم

=

الاستيعاب (ص٢٠٠، ٢٠٣).

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١١٤) باختصار وتصرف.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١١٧) باختصار وتصرف.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٠، ١١١) باختصار وتصرف.

openkandil.com

ضد الرسول ولقوة خطابته نجح في ذلك[١]، وهذا يؤكد خطر الخطابة على النفوس وتأثيرها فيها كما يؤكد استخدام أعداء الإسلام لهذا الأسلوب ضد الرسول والمسلمين.

وهكذا فالخطابة من الفنون اللسانية التي تؤثر في النفوس في الحرب النفسية أقوى مما تؤثره الحروب العسكرية.

ولذلك نجد الرسول ﷺ يقول: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[٢]. ويقول: «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه**»[٣].

ونحن في عصرنا الحاضر والشكوك والشبهات تحيط بالإسلام من كل مكان أحوج ما يكون إلى خطباء يعرفون دينهم ويعون ما حولهم من مؤامرات على الإسلام يعكفون عليها ويفندونها ويحبكوا هذا التفنيدات في خطب عصماء ترد كيد الكائدين ولهم في كتاب الله وسنة رسوله خير زاد.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٠٦، ١٠٧) باختصار وتصرف.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو (٣/ ٢٢، ٢٣) برقم (٢٥٠٤) ط/ دار الكتب العلمية، قال الإمام النووي عنه: أن إسناده قوي وصححه ابن حبان.

(٣) أخرجه أحمد عن كعب بن مالك الأنصاري (٣/ ٣٦٠) ط/ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت.

obeikandl.com

ثانيًا: الشعر:

كان الشعر من أهم وسائل الإعلام التي استخدمت قديمًا، ويعتبر الشعر أحد وسائل الإعلام الأولى التي عرفها العرب وغير العرب حيث كان هو الأداة الأولى للتعبير عن الآراء[١] وإذاعة الأخبار والمآثر الحقيقية منها والمفتعلة وكان الشعر يشبه الجرائد اليومية التي تتضمن آخر الأنباء والتحليلات الإخبارية ولم تختلف الدول الأخرى عن العرب في النظر إلى أهمية الشعر فقد نفى الإمبراطور الروماني أوغسطس الشاعر أوفيد بسبب قصيدة وهفوة ... بينما رفع الشاعر فرجيل إلى مرتبة المواطن الرفيع وظلله برعاية الدولة إذ كانت قصائده مدحًا ودعاية له وللإمبراطور[٢].

وكان الشعر في العصر الجاهلي من أهم الأدوات للتعبير عن رأي القبيلة وقد حفلت أسواق العرب بمنتديات الشعر والشعراء، وبعد ظهور الإسلام كانت بوادر الحرب الإعلامية قد ابتدأت منذ الهجرة غير أن ملامحها بدأت تتضح رويدًا في بعض السرايا قبيل بدر لكنها انفجرت انفجارًا ضخمًا بعد بدر لأن الجانب الإعلامي بالقبائل المجاورة كان هدفًا مهمًا من أهداف الفريقين ويظهر أن الأشعار سرعان ما تطير بها الركبان بين يثرب ومكة فيأتي الرد من الطرف الآخر لكن عند النصر تكثر أشعار الفريق المنتصر بينما تكثر المراثي عند الفريق الثاني.

لقد دخل رسول الله ﷺ المعارك العسكرية بأسلحة غير متكافئة في العدد والعدة أما في مجال الشعر فلم يكن الأمر كذلك فبالإضافة إلى المقلين من الصحابة الذين يكتفون بقطعة أو قطعتين كان هناك الشعراء المتخصصون وكان حسان بن ثابت على رأسهم رضي الله عنه وكعب بن مالك[٣] وعبد الله بن رواحة.

---

(١) الإعلام والدعاية، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، (ص٧٨).

(٢) الدعاية السياسية في العصر الأموي، منير حجاب، مؤسسة سعيد للطباعة، طنطا (ص١٦٥).

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الخزرجي الأنصاري السلمي شهد العقبة الثانية وآخى النبي ﷺ

وكان أشدهم على الكفار حسان[١].

ولقد ادعى أعداء الإسلام على الرسول ﷺ بأنه شاعر فنزل القرآن يبين أن الرسول ﷺ ليس بشاعر وأن منهجه غير منهج الشعراء وأن الشعراء يتبعهم الغاوون إلا من رحمهم الله من الفئة المؤمنة الصادقة قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] وقال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

يقول العلامة الألوسي في تفسيره للآية ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ مسوق لتنزيهه عليه الصلاة والسلام عن أن يكون وحاشاه من الشعراء، وإبطال زعم الكفرة أن القرآن من قبيل الشعر، ومعنى الآية والشعراء يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون والضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وفيما يذرون ولا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال والأحوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين إلى طريق الحق[٢].

ثم بين سبحانه حقيقة منهج الشعراء من أهل الضلال فقال عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥، ٢٢٦].

أي ألم تر أنهم في كل واد من أودية الخيال يهيمون على وجوههم لا يقفون عند حد معين بل يركبون للباطل والكذب وفضول القول كل مركب ديدنهم الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب والنسب والابتهار ومدح من لا يستحق المدح والغلو في الثناء والهجاء.

بينه وبين طلحة بن عبيد الله وكان أحد شعراء رسول الله ﷺ، اختلف في شهوده بدرًا، وشهد أحدًا والمعارك بعدها، توفي سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة. انظر: الاستيعاب (٣/ ١٣٢٣، ١٣٢٤).

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية لمنير الغضبان (٢/ ٣٥٨) بتصرف.

(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء التاسع عشر (١١/ ٢١٨، ٢١٩).

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي مما يتبجحون به من أقوال وأفعال ولم تصدر منهم وعنهم كناية عن أنهم يكذبون غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم أي فكيف يتوهم أن يتبعهم في مسلكهم ذلك من اتصف بمحاسن الصفات وتخلق بمكارم الأخلاق ﷺ[١].

ولقد روى عبد الله بن عباس أن هذه الآيات نزلت في شعراء المشركين عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة الجمحي، وأمية بن أبي الصلت، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه، يجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وهم الغاوون الذين يتبعونهم[٢].

ثم استثنى سبحانه الشعراء المؤمنين الصالحين الذي أغلب أحوالهم تحري الحق والصدق[٣] فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

يقول العلامة الرازي في تفسيره لهذه الآية: إن الله تعالى لما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة بيانًا لهذا الفرق استثنى عنهم الموصوفين بأمور أربعة:

١- الإيمان وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

٢- العمل الصالح وهو قوله تعالى: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

٣- أن يكون شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق إلى الحق ﴿ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

٤- ألا يذكروا هجو أحد إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ﴿ وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾.

وقيل المراد بهذا الاستثناء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٢/ ٤٦٥٠) باختصار.

(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء التاسع عشر (١١/ ٢٢٠).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١١٧).

وكعب بن زهير لأنهم كانوا يهجون قريشًا[١].

والآية الكريمة استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله سبحانه وتعالى والحث على الطاعة والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترهيب من الركون إليها والاغترار بزخارفها والامتنان بملاذها الفانية والترغيب فيما عند الله تعالى ونشر محاسن رسوله ﷺ ومدحه وذكر معجزاته.

ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هجاهم من غير اعتداء ولا زيادة[٢].

ولقد استخدم أعداء الإسلام الشعر للتحريض على المسلمين وشحذ الهمم ضدهم، ومن ذلك قول شاعرهم الحارث بن هشام:

قيا للؤوي ذببوا عن حريمكم وآلهة لا تتركوها لذي الفخرا[٣]

وقوله أيضًا:

على أنني واللات يا قوم فاعلموا بكم واثق ألا تقيموا على نبل[٤]

ومن ذلك قول هند تحرض زوجها أبا سفيان على قتال المسلمين فتقول:

فأبلغ أبا سفيان عني مالكًا فإن ألقه يومًا فسوف أعاتبه

فقد كان حرب يسعر الحرب إنه لكل امرئ في الناس مولى يطالبه[٥]

ولقد واجه المسلمون أعداءهم بنفس الأسلوب انتصارًا لدينهم وذبًا عنه.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ١٨٠).
(٢) روح المعاني للألوسي الجزء التاسع عشر (١١/ ٢٢٠).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٥).
(٤) نفس المصدر (٢/ ١٩٥).
(٥) نفس المصدر (٢/ ٢١٤).

ومن ذلك قول كعب ﷺ يعير المشركين لهزيمتهم يوم بدر ويسخر منهم ممن أسر أو فر أو قتل فيقول:

فلما لقيناهم وكل مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
وقد عريت بيض خفاف كأنها ... مقاييس يزهيها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقي في الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعًا لوجهه ... وعتبة قد غادرته وهو عاثر
وشيبة والتيمي غادن في الوغى ... وما منهم إلا بذي العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها ... وكل كفور في جهنم صائر[1]

هذا ولقد ذكر العلامة الألوسي في تفسيره ما يؤكد على أهمية الشعر الإسلامي وأثره في نفوس أعداء الإسلام وجزاء من يشعر شعرًا انتصارًا للعقيدة الإسلامية فقال:

واعلم أن الشعر باب من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الحديث: «**إن من الشعر لحكمة**»[2] وقد سمع رسول الله ﷺ الشعر وأجاز عليه.

وعن كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ إن الله تعالى أنزل في الشعراء ما أنزل فكيف ترى فيه؟ فقال: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل[3] وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بنى لحسان بن ثابت منبرًا في المسجد ينشد عليه الشعر[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٨).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجة، كتاب الأدب باب الشعر (٢/ ١٢٣٥) وأخرجه الإمام الترمذي كتاب الاستئذان والأدب باب ما جاء إن من الشعر حكمة (٤/ ٢١٦)، ط/ دار الفكر، وقال عنه إنه حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٦٠).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي، كتاب الاستئذان والأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر برقم (٣٠٠٣)، وقال عنه: أنه حديث حسن غريب صحيح (٤/ ٢١٦، ٢١٧).

وعن ابن مسعود ﷺ : الشعراء الذين يموتون في الإسلام يأمرهم الله تعالى يتغنى به الحور العين لأزواجهن في الجنة[١].

وهكذا يتبين لنا خطورة الشعر كوسيلة من وسائل الإعلام في الحرب النفسية فهي وسيلة قادرة على شحذ الهمم وتعبئة النفوس، كما أنها قادرة على تثبيط العزائم وتحطيم المعنويات، كما تبين لنا موقف الإسلام من الشعر وأنه يذم القبيح منه ويشجع الحسن كما أن القرآن الكريم ليس بالشعر كما ادعى أعداء الإسلام، وتبين لنا أيضًا أن معركة الشعر دارت سجالاً من أعداء الإسلام ابتداء واعتداء وواجهها المسلمون ذبًا ودفاعًا وتثبيطًا لمعنويات الأعداء وهجاء لهم على تركهم دين الحق وسلوكهم سبيل الضلال.

ثالثًا: الرسائل:

وسيلة هامة من وسائل الحرب النفسية الإعلامية استخدمت على مر العصور، فلقد استخدمت في دعوة الناس إلى الحق كما أنها استخدمت في تهديد الأعداء وتثبيط معنوياتهم كما استخدمت للرفع من الروح المعنوية لدى القواد والولاة والأمراء والحكام، ولقد أرسل الرسول ﷺ لأمراء وحكام عصره يدعوهم إلى الإسلام ويحذرهم من البقاء على دينهم ويحملهم وزر أمتهم إن هم استمروا على دينهم ومن ذلك رسالته ﷺ إلى القيصر هرقل ملك الروم، وقد بعث بها عليه الصلاة والسلام سفيره دحية بن خليفة الكلبي وكان نص الرسالة هو: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**»[٢].

ولقد أوهم هرقل دحية ﷺ بأنه مسلم وأعطاه كمية من الدنانير وصرفه فقال

---

(١) أخرجه الإمام الديلمي في مسنده (٢/ ٥١٨) برقم (٣٤٥٦) ط/ دار الكتاب العربي.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الوحي (١/ ٧)، وانظر: الرحيق المختوم (ص٤٢٠-٤٢٢) باختصار وتصرف.

رسول الله ﷺ لما أعلمه دحية بما حدث: «**كذب عدو الله ليس بمسلم**» وأمر بالدنانير فقسمت على المحتاجين من المسلمين، وقد اتضح من هذه الرسالة المجادلة بالتي هي أحسن من قبل رسول الله ﷺ والمكر والخديعة من قبل القيصر وكلاهما من أساليب الحرب النفسية(١).

وكان هرقل من أهل الكتاب فلقد دعاه رسول الله إلى الإسلام مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فالآية الكريمة كانت رسالة عظيمة من الرسول ﷺ يدعو فيها هرقل ومن على شاكلته إلى الإسلام وينهاهم عما هم فيه من طقوس باطلة وترك لعبادة الله عز وجل.

يقول العلامة البغوي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«الكلمة» أي تعالوا إلى كلمة أن لا نعبد إلا الله.

﴿ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

وقال عكرمة: هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير الله، وقيل: لا نطيع أحدًا في معصية الله.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ ﴾ أي فقولوا أنتم يا أمة محمد ﷺ لهم ﴿ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ مخلصون بالتوحيد(٢).

ومثلما أرسل النبي رسالة لهرقل أرسل لكسرى ملك فارس وللنجاشي ملك الحبشة

---

(١) الحرب النفسية في العصر المدني (ص٣٠٠، ٣٠١).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٣١٢).

ولغيرهما من الملوك والرؤساء[١].

استخدام الرسائل كوسيلة إعلامية داخلية:

كذلك استخدمت الرسالة كوسيلة من وسائل الإعلام في الداخل:

ومن أمثلة ذلك: أن الرسول ﷺ بعث عبد الله بن جحش الأسدي[٢] إلى نخلة[٣] في اثنى عشر رجلاً من المهاجرين وكتب له كتابًا وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين فإذا فيه: «**إذا نظرت في كتابي هذا فامضي حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم**» فقال: سمعًا وطاعة وأخبر أصحابه بذلك[٤].

فمن هذه الواقعة يتضح أن:

١- أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب الرسالة كأسلوب من أساليب الإعلام مع أصحابه رضوان الله عليهم.

٢- ما كان عليه الصحابة من حسن اتباع وطاعة لقائدهم ﷺ حيث لم ينظر عبد الله بن جحش في الكتاب إلا بعد يومين كما أمره الرسول ﷺ بذلك وبمجرد أن قرأ الكتاب نطق بكلمة «سمعًا وطاعة».

---

(١) انظر: الرحيق المختوم (ص٤١٤، ٤٢٥) باختصار وتصرف.

(٢) هو عبد الله بن جحش ب رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن أسد بن خزيمة الأسدي، أمه أمية بنت عبد المطلب، كان من المهاجرين الأولين، هاجر الهجرتين ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا واستشهد يوم أحد. انظر: الاستيعاب (٣/ ٨٧٧، ٨٨٠).

(٣) وسرية نخلة كان على رأسها سيدنا عبد الله بن جحش وقد أعطاه النبي ﷺ خطابًا وأمره ألا يفتحه إلا بعد يومين ففتحه بعد يومين فإذا فيه أن النبي ﷺ يأمرهم أن ينزلوا نخلة وهو مكان بين مكة والطائف فأطاعوا أمر الرسول ﷺ ومرت بهم عير لقريش فتشاوروا فيهم وكانت آخر ليلة من رجب فهجموا عليهم فأفلت منهم واحدًا وأسروا أثنين وأخذوا ما كانت تحمله العير ورجعوا إلى المدينة.

(٤) انظر: هذا الحبيب يا محب، لأبو بكر الجزائري (ص٢٠٧) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

ومن الأمثلة أيضًا:

كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم على عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة[١].

وقد بعث عمر ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ برسالة يقول فيها: الناس شريفهم ووضيعهم في دين الله سواء يفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة[٢].

ومن هذين المثالين يتضح ما يأتي:

١- استخدام الصحابة رضوان الله عليهم لأسلوب الرسالة كوسيلة إعلامية ناجحة.

٢- ولنا أن نتخيل ما من شأن مثل هذه الرسائل من أثر في تقوية نفوس الصف الداخلي وإرشاده لما فيه صلاحه.

٣- كيف كان القائد الأعلى وهو أمير المؤمنين عمر ﷺ يشغل نفسه بجنده ويهتم بهم وهو حيث هو وهم حيث هم وهذا ما يعطينا الفرق الواضح بين قواد الأمس وولاة اليوم.

٤- أنه لن يصلح حال هذه الأمة إلا بالرجوع إلى منهج الله وامتثال الطاعة والتقوى ونبذ المعصية والمخالفة لأوامر الله فهما دعامة النصر.

كذلك استخدام أعداء الإسلام الرسالة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية الإعلامية ضد المسلمين ومن أمثلة ذلك أنه بعد وقعة اليرموك اجتمع أهل فارس بعد

---

(١) الحرب النفسية، د/ أحمد محمد نوفل (٢/ ١٣٦)، نقلاً عن عظماؤنا في التاريخ (ص١٤٦).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٩٢).

مقتل ملكهم وابنه على تمليك شهريار بن أزدشير بن شهريار واستغنموا غيبة خالد عنهم فبعثوا إلى نائبة المثنى بن حارثة جيشًا كثيفًا نحوًا من عشرة آلاف عليهم هرمز بن حادوية، وكتب شهريار إلى المثنى: «إني قد بعثت إليك جند من أحسن أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم».

فهو أراد بهذه الرسالة تهديد المسلمين والسخرية منهم وإضعاف روحهم المعنوية، فإذا بالمثنى يرد فيقول: «إنما أنت أحد رجلين إما باغ لذلك شرًا لك وخيرًا لنا، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليه، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير».

فكان من أثر هذه الرسالة أن جزع أهل فارس من هذا الكتاب ولاموا شهريار على كتابه إليه واستهجنوا رأيه[1].

والمستفاد من هذا النموذج ما يلي:

١- أن استخدام الرسائل كوسيلة من وسائل الحرب النفسية الإعلامية قد استخدمت من قبل أعداء الإسلام ضد المسلمين وقد رد المسلمون بنفس الوسيلة لمواجهة أعدائهم.

٢- أن هذه الرسالة من الأعداء قد حملت طابع التهديد والسخرية ولكن القائد المسلم بفطانته قد استخدم مادة التهديد قدحًا في عدوه حيث قال له: الحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير.

٣- ثبات الصف المسلم أمام وسائل الحرب النفسية حتى وإن غاب القائد الأصلي عنهم وهو خالد بن الوليد رضي الله عنه.

٤- أن هذه الرسالة زادت الصف المسلم قوة بينما أحدثت خلافًا في صفوف الأعداء وانتقادهم لملكهم واستهجانهم لرأيه.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٦، ١٧) باختصار وتصرف.

ومن استخدام الأعداء للرسالة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية الإعلامية ما فعله هولاكو من قبل مغادرته سوريا إلى مصر أرسل رسولاً من رجاله وبرفقته أربعون رجلاً من الأتباع إلى قطز يحملون كتابًا من هولاكو إلى السلطان وكان مما فيها: إننا نحن جند الله في أرضه خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه فلكم بجميع البلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر فاتعظوا لغيركم وأسلموا إلينا أمركم فنحن لا نرحم من بكى ولا نرق لمن شكى.

وكان ذلك في سنة ثماني وخمسين وستمائة هجرية أوائل سنة ١٢٦٠م فلما سمع قطز ما في الكتاب جمع الأمراء واتفقوا على قتل الرسل فقبض على الرسل واعتقوا وأمر بإعدامهم فأعدموا كل واحد أمام باب من أبواب القاهرة وعلقت رؤوسهم على باب زويلة[1].

وهنا كان القتل هو أبلغ رد على ما حاول هولاكو إحداثه في حرب نفسية ضد المسلمين فكان قتل رسلهم حربًا نفسية شديدة على هولاكو وجنوده وهم القوم الذي لا يعترفون إلا بالدماء.

وهكذا لعبت الرسالة دورًا عظيمًا كوسيلة إعلامية ناجحة من وسائل الحرب النفسية مما كان له أكبر الأثر على نفوس المرسل إليهم فأحدثت فيها ما أحدثت، فلقد أثمرت الرسالة في تغيير مجريات الأمور في كثير من الأحيان فلقد أسلم بعض من أرسل إليهم الرسائل وهو لم يكن على الإسلام ولقد استسلمت بعض الجيوش المحاربة إثر رسالة.

وهذا ما يجب أن يفطن إليه المسلمون حديثًا وعليهم أن يطوروا رسائلهم حسب مقتضيات العصر وعليهم أن يفطنوا طبيعة مواجهيهم حتى إن أرسلوا رسائلهم كانت رسائلهم صائبة مناسبة.

---

(١) بين العقيدة والقيادة، اللواء محمد شيت خطاب (ص٣٣٤، ٣٣٥) باختصار وتصرف.

وهكذا فالحرب الإعلامية تلعب دورًا كبيرًا في الحرب النفسية فلقد وجدناها تواكب الحرب العسكرية وكانت هي لسان الناطق الرسمي بنتائج الحروب والمعارك، وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم أن تخوض معركتها العسكرية وأن تعطي الجانب الإعلامي حقه خاصة وأن طبيعة الحرب العالمية اليوم حربًا إعلامية فالمعسكران يبتعدان ما استطعنا عن الصدام والمواجهة العسكرية لكن حربهم المستمرة اليومية تنطلق من وسائل الإعلام المختلفة من موعظة وخطابة ومقالة وقصة ورسالة إعلامية تبث من خلال وسائل الإعلام الحديثة المختلفة من إذاعة وتلفاز وجريدة ومجلة وكتاب وتسجيل سمعي وبصري فكلها غدت تتحكم في قلوب البشر وعقولهم وتفكيرهم وتوجه قناعتهم وتبني عقائدهم.

إن المعركة من الخطورة والدقة والأهمية ما يجعل الحكم على نجاح المعركة من خلال نجاح إعلامها والثقة به والتعامل معه.

وعلى المسلمين الصادقين أن يوجهوا طاقاتهم لتكوين المتخصصين المبدعين في هذا الفن ليحققوا القاعدة الأساسية التي يقوم عليها صرح البناء الجهادي فيكون كما قال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

إنها مواصفات واضحة للكلمة الطيبة إنها من الأصالة والصدق ضاربة جذورها في الأرض فلا يزعزعها بهرج الدنيا وزخرفها وهي من جهة ثانية منتشرة في كل صقع وطالت فروعها الباسقة حتى عمت الأرض وامتدت للسماء وهي من جهة ثالثة مثمرة ترعاها عناية الله تحقق أهدافها التي قامت من أجلها كاملة ويكون ثمرها مذاقًا لكل قارئ وراء أو سامع وفقدان أي من هذه المواصفات الثلاث يعني أننا لم نصل بعد إلى

الكلمة الطيبة التي نريد[١].

وعلينا أن نعي أننا لم نصل إلى مستوى الإعلام الإسلامي المطلوب أو بتعبير آخر لم نصل إلى مستوى الكلمة الطيبة إلا بعد أن نصل إلى مستوى التفكير الطيب الذي نتحرر فيه من كل تبعية إلا لدين الله عز وجل فإذا وصلنا إلى تحرير أفكارنا فسوف تحرر كلماتنا.

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، أ/ منير الغضبان (٢/ ٣٦٨، ٣٧٠) باختصار وتصرف يسير، ط/ مكتبة المنار، الأردن.

obeikandl.com